مذكرة عقيدة (٢)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على نبي الله ومن والاه وبعد

إنَّ الإيمان بالملائكة أصلٌ من أصول الاعتقاد في الدين الإسلامي الحنيف ، ولا يتم إيمان المرء إلا به ، والملائكة من العالم الغيبي الذي غيَّبه الله تعالى عنَّا من حيث الحس والشهادة ، وأمرنا بالإيمان بهم ، وامتدح سبحانه وتعالى عباده المؤمنين بالغيب لما في الإيمان به من التصديق بما أخبر به سبحانه وتعالى ، والإذعان لأمره.

ومعلومٌ أن الكون والعوالم جميعها قسمتها ثنائيةٌ من حيث الغيب والشهادة ، ولا ثالث لها ، فهي إما شهادةٌ وإمَّا غيبٌ.

فالشهادة هي ما يدركها المرء ويحسها بما آتاه الله من القوى في هذه الحياة الدنيا.

وأما الغيب فهو ما لا يقدر المرء على إدراكه وشهوده إدراكاً حسيّاً ، وإن كان يجد له في صدره وخاطره إدراكاً وإحساساً ووجوداً ناتجاً عن إيمانه الجازم بصدق الخبر ، وتيقنه بأخبار يقيناً لا مجال فيه للشك والتردد.

والأخبار عن خلق الملائكة ووجودهم جاءت بها نصوصٌ كثيرةٌ في الكتاب والسنة الصحيحة ، بل جاء الأمر عن الله تعالى بوجوب الإيمان بهم ، وكذا جاء عن رسوله ﷺ.

قال الله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ ﴾ [البقرة: ٣٠] .

وقال تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ ﴾ [البقرة: ٣٤] .

وقال النبي ﷺ : «**لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلبٌ ولا صورةٌ**» (١) .

وقال أيضاً : «**إن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم**» (٢).

والنصوص في ذكرهم ووجودهم وصفاتهم وأعمالهم وأحوالهم كثيرةٌ جدّاً في كتاب الله وفي سنة رسوله ﷺ ، مما يدل على وجوب الإيمان بهم وأنه ركنٌ من أركان الإيمان ، وأصلٌ من أصول الاعتقاد ، بدليل :

- ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ ﴾ [البقرة: ٢٨٥] .
- ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ... ﴾ [النساء: ١٣٦] .
- وجاء مثل هذا في حديث جبريل المشهور وغيره من نصوص السنة المطهرة عنه ﷺ .

فوجب لذلك الإيمان والإذعان والسمع وإن كان غيباً بالنسبة لنا، والإيمان بالملائكة يتطلب أموراً ومعانٍ أهمها :

---

(١) متفق عليه.

(٢) رواه مسلم .

أولاً : التصديق بهم وبوجودهم وأنهم أجسامٌ وخلقٌ كالجن والإنس ، وأنهم أعيانٌ وذواتٌ على الحقيقة يقومون بأمر الله تعالى في خلقه ، يقول النبي ﷺ : « **خُلقت الملائكة من نورٍ ، وخُلق الجان من مارجٍ من نارٍ ، وخُلق آدم مما وُصِف لكم** » (١). والنصوص كثيرةٌ تدل على أعيانهم وصعودهم ونزولهم وذهابهم وإيابهم وغير ذلك مما يدل على أنهم ذواتٌ وأعيانٌ وأجسامٌ خلافاً للفلاسفة ومن وافقهم.

ثانياً : إنزالهم منازلهم ، ومعرفة قدرهم وحقهم ، وأنهم عبادٌ مكرمون معصومون بعصمة الله تعالى إياهم بدليل :

- ﴿ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [التحريم: ٦] .
- ﴿ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴾ [الأنبياء: ١٩] .
- ﴿ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ﴾ [عبس: ١٦] ، ﴿ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴾ [الواقعة: ٧٩] .

وجعل قومٌ هذه في رسلهم ، والصحيح والراجح عصمتهم جميعاً وتنزيههم عن كل ما يحط من قدرهم وفضلهم ، وحجتهم في قصة هاروت وماروت وقصة إبليس لا تصح ولا تقوى.

ويجب موالاتهم ومحبتهم جميعاً بلا تفريق بين ملكٍ وملكٍ ، فمن عادى ملكاً وأبغضه أو كفر به فقد كفر بالملائكة جميعاً وبالله تعالى ، خلافاً لليهود ومن وافقهم.

ثالثاً : **الموقف من النصوص في هذا الباب ، وسائر أبواب الغيب.**

فالإيمان بالملائكة يقوم على النقل ، ولا مجال فيه للعقل ، فتقف حيث وقفت النصوص الشرعية الصحيحة الثابتة في ما يتعلق بهم من وجودهم وصفاتهم وأعمالهم ، وذلك لأنه غيبٌ ، والغيب يقدر بقدره ولا يقاس عليه، ولا يُزاد فيه ولا يُنقص منه ولا يعمل فيه بعقلٍ ولا اجتهادٍ أبداً.

رابعاً : الاعتقاد الجازم بأن الإيمان بالملائكة من أركان الإيمان، وأنه شرطٌ لصحة المعتقد ، وأن من أنكر فيهم أو منهم شيئاً جاء به النقل الصحيح فإنه يكفر كفراً مخرجاً من الملة لقوله تعالى:

- ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ [البقرة: ٢٨٥] .

ولقوله جل وعلا : ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴾ [النساء: ١٣٦]

هذه أهم مراتب ومعاني الإيمان بالملائكة عليهم الصلاة والسلام وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم التسليم ، والله تعالى أعلم وهو وحده سبحانه الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

---

(١) رواه مسلم .

صفات الملائكة

أولاً :- الصفات الخَلْقية :

قراءة في كتاب شرح الطحاوية.

ثانياً- الصفات الخُلُقية :

١ - الطاعة المطلقة والخضوع التام لأمر الله تعالى.

قال الله عز وجل : ﴿ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [التحريم: ٦] .

وقال سبحانه : ﴿ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴾[الأنبياء: ٢٦ – ٢٧] .

فلا يتقدمون بين يدي ربهم لا بقولٍ ولا بفعلٍ ولا اقتراحٍ ولا اعتراضٍ كما هو شأن البشر ، بل يسرعون بالعمل والامتثال لجميع أمره ونهيه سبحانه وتعالى ، وذلك لما عصمهم به الله تبارك وتعالى من عصمته في هذا الباب.

٢ - الخوف والخشية من الله تعالى على الدوام.

قال الله تعالى : ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [النحل: ٥٠] .

وقال تبارك وتعالى: ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴾ [الأنبياء: ٢٨] .

فهم على الرغم من عصمتهم ودوام طاعتهم وخضوعهم لله تبارك وتعالى، فإنهم على جانبٍ عظيمٍ من الخوف والوجل من غضب الرب تبارك وتعالى وسخطه المستلزم لعقابه وعذابه ، وهذا غايةٌ في معرفة حق الله تعالى وتعظيم قدره جل وعلا ، وغايةٌ أيضاً في عدم الركون والاغترار بواقع الحال والوجل الدائم من مكر الله تعالى وتقليبه للأمور والأحوال ، وهذا يدل على عظيم علمهم بالله تعالى، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله.

٣ – تحقيق العبودية المطلقة الكاملة لله تعالى.

قال الله تعالى: ﴿ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴾ [الأنبياء: ١٩] ، أي: لا يتعبون ولا يملون.

وقال سبحانه: ﴿ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴾ [الأنبياء: ٢٠] .

فهم في عبادةٍ، وصلاةٍ، وذكرٍ، وتسبيحٍ، واستغفارٍ دائم لله تعالى ، وقد جاء عن الرسول ﷺ الحث على الاصطفاف في الصلاة كاصطفاف الملائكة عند ربهم .

قال عليه الصلاة والسلام : « **ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربهم؟ قالوا : وكيف تصف الملائكة عند ربهم؟ قال: يتمون الصف الأول فالأول ويتراصون في الصف**»[1] .

- ﴿ ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ ﴾ [غافر: ٧] .

- ﴿ وَإِنَّا لَنَحۡنُ ٱلصَّآفُّونَ ١٦٥ وَإِنَّا لَنَحۡنُ ٱلۡمُسَبِّحُونَ ١٦٦ ﴾ [الصافات: ١٦٥ – ١٦٦] .

فالأدلة تدل على دوام عبادتهم لله تعالى بلا انقطاعٍ، ولا تعبٍ، ولا مللٍ.

٤ – الحياء.

إنّ الملائكة عليهم الصلاة والسلام تستحي استحياءً يليق بحالها ، وقد جاء عن النبي ﷺ قوله : « **ألا أستحيي من رجلٍ تستحي منه الملائكة** »[2].

وهذه من صفات الكمال ومحاسن الأخلاق؛ إذ الحياء قرين الإيمان ولا إيمان لمن لا حياء له.

٥ – التأذي والنفرة.

والملائكة تتأذى مما هو شرٌّ، وخبيثٌ، ولا يتفق مع الطباع السوية التي تميز بين الخير والشر وبين الطيب والخبيث ، وأيضاً ينفرون مما ينفر منه ذوو الفطرة السليمة والأذواق السوية ، تماماً كما يتأذى الأسوياء من بني آدم من مستكرهات الأصوات، والأحوال، والروائح، والأفعال وغيرها.

قال النبي ﷺ: «**من أكل من الثوم والبصل والكراث فلا يقربن مسجدنا ، فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم**»[3].

وقال عليه الصلاة والسلام: «**إن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه كلب ولا صورة** »[4] .

وقال أيضاً: « **إن البيت الذي فيه الصور لا تدخله الملائكة**» [5] .

---

(١) رواه البخاري .
(٢) رواه مسلم .
(٣) رواه مسلم .
(٤) متفق عليه .
(٥) متفق عليه .

الموالاة والمعاداة (الولاء والبراء).

أ – موالاتهم لأهل محبة الله تعالى وطاعته :

وهذا بلا شكٍ أنه من أكمل الإيمان، وحسن الإسلام، بل من أوثق عراه ، ولا تكون الموالاة الشرعية إلا بالمحبة ، فهم يحبون أهل الإيمان والطاعة حبّاً شرعيّاً في ذات الله تعالى ، وكلما ازداد المؤمن قرباً من ربه تبارك وتعالى ازدادت محبة الرب له وازدادت أيضاً محبة الملائكة له ، فمن ضرورات الموالاة المحبة ، ومن لوازم المحبة إرادة الخير للمحبوب ومجانبة الشر عنه؛ لذا فالملائكة في تحقيقهم لهذا الأمر يُصلُّون على أهل الإيمان بأسباب كثيرةٍ، ويشتغلون بالدعاء والاستغفار لهم في حياتهم، ويشفعون لهم عند ربهم حتى يستقر بهم القرار في رحمة الله تعالى ، كما أنهم يشيعون أهل الإيمان في صعود أرواحهم إلى ربهم جل وعلا.

ب – معاداتهم لأهل سخط الله ومعصيته.

إنَّ البراءة من أهل الكفر والشرك والعصيان، ومعاداتهم وبغضهم من لوازم كمال الإيمان، ودلائل صحة المسلك والمنهج؛ لذا فإنَّ الملائكة لكمال دينهم وطاعتهم وانقيادهم لأمر ربهم فإنهم في غاية الوضوح في مواقفهم من أهل الكفر والفسق والفجور ، فإنهم يبغضونهم، ويعادونهم، ويلعنونهم يحاربونهم وإذا أذن الله تعالى يحاربونهم بالأيدي والسيوف، ويهلكونهم، ويدمرون عليهم بيوتهم معايشهم.

وهم أيضاً يعادون ويلعنون من يتشبه بالكفار ويستن ويتصف بصفاتهم وإن لم يكن منهم.

وظائفهم وأعمالهم

إذا تتبع المرء النصوص الشرعية، والآثار الواردة في أعمال الملائكة الكرام مثل :

قوله تعالى: ﴿ وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا ۝١ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا ۝٢ فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكْرًا ﴾ [الصافات: ١ – ٣].

وقوله عزوجل: ﴿ وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا ۝١ فَٱلْعَٰصِفَٰتِ عَصْفًا ۝٢ وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشْرًا ۝٣ فَٱلْفَٰرِقَٰتِ فَرْقًا ۝٤ فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا ﴾ [المرسلات: ١ – ٥]

وقوله سبحانه وتعالى : ﴿ وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرْقًا ۝١ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشْطًا ۝٢ وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبْحًا ۝٣ فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبْقًا ۝٤ فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا ﴾ [النازعات: ١ – ٥] .

وغيرها من نصوص الكتاب والسنة التي تدل دلالةً واضحةً على أنَّ الله تبارك وتعالى قد أناط بالملائكة الكرام أمر تدبير الكون كله من سماواتٍ وأرضٍ وكل ما فيهما من خلق الله تعالى وأمره ، فجميع العوالم علويها وسفليها تدبرها وتديرها الملائكة بإذنٍ وأمرٍ من ربِّ العزة والجلال ، فلا حركة في جميع الأكوان إلا وهو من فعلهم قياماً منهم بأمر الله تبارك وتعالى في إدارة شئون الأكوان والخلائق ، ويمكن تقسيم أعمالهم ووظائفهم بحسب علاقتهم مع الله تعالى أولاً ثم مع غيره من الخلق:

١ – **أمّا وظائفهم وأعمالهم في علاقتهم مع المولى تبارك وتعالى** فإنها تتجلى في طاعتهم المطلقة لله تعالى، والقيام بأمره سبحانه، وحسن عبادته، والمداومة على ذكره وتسبيحه وتعظيمه كما تقدم في مبحث صفاتهم عليهم الصلاة والسلام.

يقول النبي ﷺ: « **أطَّت السماء وحق لها أن تئط ، ما من موضع أربع أصابع إلا عليه ملكٌ واضعٌ جبهته ساجداً لله تعالى**» (١).

فهم مشغولون بطاعة المولى تبارك وتعالى، وعبادته، وخدمته على الدوام.

٢ – وأمَّا وظائفهم وأعمالهم في علاقتهم مع الناس :

فالنصوص الشرعية في بيان هذه العلاقة كثيرةٌ جداً بدئاً بعلاقتهم مع آدم عليه الصلاة والسلام ، وتستمر في هذه الحياة الدنيا ، فلا حركة للإنسان، ولا شأن في الدنيا إلا وللملائكة فيه عملٌ ووظيفةٌ ، ثم هم على أعمالٍ كثيرةٍ حتى في حياة الإنسان البرزخية ، وأعمالٍ جليلةٍ وعظيمةٍ في حياة الإنسان الأخروية ، فهم مع كل إنسانٍ على وجه التخصيص والانفراد من لحظة نفخ الروح فيه في مستقر رحم أمه ، ثم مع كل حركةٍ وسكنةٍ وقولٍ وفعلٍ وحالٍ من أحواله حتى

(١) رواه الإمام أحمد الترمذي وغيرهما.

يستقر قراره الأخير ، إما في مستقر الرحمة ودار النعمة في جنات عدنٍ ، وإما والعياذ بالله في مستقر نقمته وعذابه في جهنم:

- مع الإنسان من أولى لحظاته : «**إنَّ أحدكم يُجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً نطفةً ، ثم يكون علقةً مثل ذلك ، ثم يكون مضغةً مثل ذلك ، ثم يُرسل إليه الملك ، فينفخ فيه الروح ويُؤمر بأربع كلماتٍ : بكتب رزقه، وأجله، وعمله، وشقيٍّ أو سعيدٍ** ...» الحديث[1].

- يحفظونه في حياته من الضر والشر بأمر الله تعالى : ﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ ﴾ [الرعد: ١١]

- قرناؤه طيلة حياته «**ما منكم من أحد إلا وتوكل به فريقٌ من الجن، وفريقٌ من الملائكة ، قالوا وإياك يا رسول الله؟...**» الحديث[2] .

يكتبون أعماله : ﴿ مَّا يَلۡفِظُ مِن قَوۡلٍ إِلَّا لَدَيۡهِ رَقِيبٌ عَتِيدٞ ﴾ [ق: ١٨] . ﴿ وَإِنَّ عَلَيۡكُمۡ لَحَٰفِظِينَ ١٠ كِرَامٗا كَٰتِبِينَ ١١ يَعۡلَمُونَ مَا تَفۡعَلُونَ ﴾ [الانفطار: ١٠ – ١٢] .

وتختلف وظائف الملائكة وأعمالهم أيضاً مع الناس وذلك بحسب أحوالهم وعلاقتهم مع الله عز وجل:

أ – علاقتهم مع أهل الإيمان :

- معيتهم لأهل الخير والصلاح والتقوى؛ وذلك إكراماً لهم وشفاعةً منهم في قبول أعمالهم والعروج بها، والدعاء لهم وإعانتهم عليها ، مثل :
  - إبلاغهم الرسول ﷺ سلام أمته عليه.
  - صلاتهم على من صلَّى على رسول الله ﷺ، وعلى أهل الصف الأول في الصلاة، ودعاؤهم وترحمهم واستغفارهم للمصلين بعد الفراغ من صلاتهم ماداموا في مصلاهم ، وحضورهم صلاة الجمعة مع أهلها ، ودعاؤهم للمنفقين المحسنين ، وتأمينهم لفاتحة الصلاة ، وتفقدهم لأهل المساجد.
  - حضورهم مجالس الذكر والعلم، واحتفاؤهم بأهلها، وتواضعهم وخضوعهم لطالب العلم ، وصلاتهم على معلم الناس الخير ، والماشي في حاجة أخيه المسلم ، وعائد المريض ، والعروج بأعمالهم الصالحة ، والشفاعة لهم ، وتشييع جنائزهم وأرواحهم عند العروج بها ، وحتى عند الحساب في يوم القيامة يكثرون من الدعاء لهم بالسلامة من عذاب الله وعقابه.

---

(١) متفق عليه.

(٢) رواه مسلم .

اللهم بارك لنا في معيتهم، وحبِّب إلينا ملائكتك الكرام البررة ، وحببِّنا يا ربنا إلى ملائكتك واقبل فينا شفاعتهم ودعاءهم وصلاتهم برحمتك يا أرحم الراحمين.

ب – علاقتهم مع أهل الكفر والفسوق والمعاصي :

وظائف الملائكة وأعمالهم التي تبين علاقتهم بأهل الكفر والفسوق والمعاصي تقابل أعمالهم ووظائفهم مع أهل الإيمان والتقوى.

فالملائكة عليهم الصلاة والسلام يبغضون أهل الكفر والضلال، ويعادونهم في ذات الله ، ويحاربونهم بأمر الله تعالى؛ انتصاراً منهم وانتقاماً لدين الله أولاً ثم نصرةً لرسل الله وأنبيائه والمؤمنين ثانياً.

فما كذَّب قومٌ نبيهم إلا قاموا بإنزال عذاب الله عليهم، وإهلاكهم بأمره سبحانه، وهم يشتغلون بلعنهم والدعاء عليهم على الدوام حتى يؤمنوا، يقول الله عز وجل: ﴿ **إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ لَعۡنَةُ ٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ** ﴾ [البقرة: ١٦١] .

وهو يلعنون أيضاً من هم دون الكفر لقبيح أفعالهم وأخلاقهم مثل :

- لعنهم وشدتهم على من يكتمون ما أنزل الله من العلم والهدى.
- لعنهم وشدتهم على من يسبون الصحابة الكرام رضي الله عنهم.
- لعنهم وشدتهم على من يكرمون المبتدعين فضلاً عن المبتدعين أنفسهم.
- لعنهم وشدتهم خاصة على المبتدعين ومن يكرمهم في المدينة المنورة خاصة.
- لعنهم وشدتهم على من هدَّد مؤمناً وخوَّفه وأفزعه بآلةٍ أو سلاحٍ.
- لعنهم وشدتهم على المرأة التي تعصي زوجها .
- لعنهم وشدتهم على المرأة في خروجها رغم زوجها، يقول النبي ﷺ: « **إنَّ المرأة إذا خرجت من بيتها وزوجها كارهٌ لعنها كلُّ ملكٍ في السماء، وكلُّ شيءٍ مرَّت عليه غير الجن والإنس ، حتى ترجع**»[1] .

٣- وأمّا وظائفهم مع بقية خلق الله.

فكما تقدم ذكره ، فإنه ما من حركةٍ ولا سكنةٍ في هذه الدنيا إلا وقد وكَّل الله تعالى بها بعض ملائكته الكرام ، سواء كان من أمور المعاش وهذه الحياة الدنيا ، أو كان من أمر دار البرزخ ، أو كان من أمر الدار الآخرة ، وسواء كان من عالم الغيب أو عالم الشهادة.

---

(١) رواه الطبراني.

فالخلق وتصاريفهم في هذه الدنيا موكولٌ إليهم ، وحياة الخلق ومعاشهم من رزقٍ أو مطرٍ أو نباتٍ أو رياحٍ والجبال والبحار كله مما تدبره الملائكة.

والبرزخ ونعيمه وعذابه وما يكون في القبور من سؤالٍ وغيره إنما أمره إليهم عليهم الصلاة والسلام.

وكذلك القيامة والبعث والنشور والنفخ والحشر والحساب والجزاء والسوق والحوض والظل والحرور والصحف والدواوين، ثم أمر النعيم والشقاء والتعذيب كله موكولٌ إليهم بأمر الرب تبارك وتعالى.

وكذا حمل العرش والأرض والجبال وسوق الجنة والنار والقيام عليها وخزنتها، وسوق السحاب، وما يكون من برقٍ ورعدٍ موكولٌ إليهم ، حتى أمر الشرائع والرسالات والكتب موكولٌ إليهم.

الحاصل أنَّ الله تعالى خلق الخلائق والأكوان ، وخلق خلقاً لتدبير شئون الخلائق والأكوان جميعاً ، وهم كرامٌ بررةٌ لا يعصونه، بل بأمره يعملون، ومن خشيته مشفقون عليهم الصلاة والسلام.

أثر الإيمان بالملائكة

نعلم مما تقدم أنه يجب على المسلم أن يؤمن بالملائكة إيماناً قاطعاً، بوجودهم وخلقهم على وفق ما جاءت به النصوص الشرعية في ذكر صفاتهم وأخلاقهم ، ووظائفهم وأعمالهم ، وأن يصدق تصديقاً لا ريب فيه بكل ما جاءت به تلك النصوص التي تؤكد أنَّ الملائكة جميعاً ممن اصطفاهم الله تعالى واختارهم لجميل الخصال والأفعال والأخلاق؛ لذلك فإنهم يستحقون منّا الموالاة الشرعية والمحبة الصادقة في ذات الله تعالى.

فالواجب علينا أن نتولاهم جميعاً غير مفرقين بين ملكٍ وآخر في المحبة والمولاة ، ونتبرأ ممن يتبرأ من بعضهم أو من أحدهم؛ إذ الكفر بأحد الملائكة كفرٌ بهم جميعاً ، ولا شك أنّ الكفر بهم إخلالٌ بركنٍ من أركان الإيمان ، ومعلومٌ أنَّ الكفر أو عدم تحقيق أحد أركان الإيمان كفرٌ بدين الله تعالى ومروقٌ منه والعياذ بالله، إذ الدين والإيمان وحدةٌ واحدةٌ لا تتجزأ ، وكذا الملائكة وحدةٌ واحدةٌ لا تتجزأ ولا تتبعض.

ثم إنَّ للإيمان بهم آثاراً تعود بالنفع الديني والدنيوي على صاحبها ، وهذه الآثار – حسب ما أراه – والله تعالى أعلم يمكن تقسيمها حسب استقراء النصوص الشرعية- ما أمكنني ذلك- إلى آثارٍ على القلوب وأخرى على الجوارح والأعمال الظاهرة ، وأذكر أهمها :

أولاً – الآثار القلبية الباطنية :

١ -تعظيم الرب تبارك وتعالى في ربوبيته وصفاته وألوهيته، لعظيم خلقه وأمره.

٢ -الاطمئنان إلى جنب الله تعالى؛ لعظيم قدرته وجنده وحزبه.

٣ -اللجوء إليه سبحانه في الشدائد والملمّات؛ لكثرة جنده وحزبه الذين لا يعصون أمره.

٤ -التيقن من نصرته تعالى لخاصَّته وحزبه وأهله ولو بعد حين.

٥ -الصبر في ذات الله تعالى في هذه الدنيا على طاعته وبلاءه وعن معاصيه؛ لما في كل منها من عظيم النوال الأخروي من صلاة ودعاء ونصرة الملائكة لأهله.

ثانياً – الآثار الظاهرة العملية :

١ – تحقيق الولاء والبراء في دين الله تعالى بتولي الملائكة، وتعظيم قدرهم، ومحبتهم؛ لأنهم أهل صفوة الله تعالى واختياره.

٢ - البعد عن الذنوب والمعاصي فضلاً عن الكفر والفجور والشرك تأسياً بالملائكة الكرام فإنهم أهلٌ لذلك ومعلومٌ أنَّ التأسي بالكرام جميلٌ.

٣ - الحرص على الطاعات لتحقيق عبودية الله تعالى ، ولنيل ما تفعله الملائكة الكرام مع أهل الطاعات ، وللاقتداء بهم في جميل خصالهم وصفاتهم.

٤ - اجتناب ما من شأنه إيذاؤهم فضلاً عما يؤدي إلى مقتهم وغضبهم ولعنهم وشدتهم وإهلاكهم لمن استحق ذلك بقبيح فعله وخُلُقه.

٥ - الحرص على الفوز بمعيتهم المباركة ورفقتهم الطيبة وقربهم منا ، ومجانبة ما يؤدي إلى مفارقتهم وبعدهم عن بيوتنا ومجالسنا؛ لما في قربهم ومعيتهم من الفوز والنوال ، ولما في بعدهم ومفارقتهم من الخسارة والبوار.

التفضيل بين الملائكة وبني آدم

في هذه المسألة صورٌ ، أهمها :

أولاً : التفضيل بين الأنبياء والملائكة

القول الأول: الأنبياء أفضل ، وهو قول جمهور أهل السنة.

القول الثاني: الملائكة أفضل ، وهو قول المعتزلة وبعض الأشاعرة.

القول الثالث: التوقف عن التفضيل ، وهو قول بعض المتكلمين.

ثانياً : التفضيل بين خواص الملائكة وصالحي البشر.

١ – تفضيل صالحي البشر وأوليائهم على الملائكة، وهو قول جمهور أهل السنة.

٢ – تفضيل الملائكة على العموم من جميع البشر ، وهو قوله المعتزلة .

٣– الاختلاف في التفضيل ، وتوقف البعض، وهو قول الأشاعرة المتكلمون.

٤ – تفضيل الأنبياء والأئمة فقط على عموم الملائكة، وهو قول الرافضة.

إنَّ الخلاف في هذه المسألة وفروعها خلافٌ قديمٌ بين العلماء ، والحقُّ أنَّ باب التفاضل بين الأشياء والذوات والأعيان له شروطٌ يجب اعتبارها ومعرفتها قبل الحكم والفصل بين الأشياء؛ منها:

إنَّ التفاضل يصح ويسهل بين المتماثلات والمتشابهات ، وأما في هذه المسالة فإنَّ حقيقة الملائكة تختلف عن حقيقة بني آدم في خِلقتهم وقدرتهم وصفاتهم ، وكلما اشتدت المخالفة والمفارقة صعب على العاقل أن يقارن ويفاضل ، ولكن إن أراد المقارنة والمفاضلة فهناك أمورٌ يجب مراعاتها منها :

١ –معرفة أسباب ودواعي التفضيل بين الفريقين، ونسبة ما عند كل فريقٍ ثم الموازنة بينها.

٢ –معرفة نسبة التفاوت في تحصيل هذه الفضائل التي هي أساس التفضيل بين الفريقين.

وخلاصة هذه المسألة :

الاعتقاد الجازم بأنَّ نبينا محمد ﷺ هو أفضل الخلق على الإطلاق لقول عبد الله بن سلام رضي الله عنه : «ما خلق الله خلقاً أكرم على الله من محمد ﷺ ... » .

والاعتقاد الجازم بأنَّ الملائكة أفضل من الكفار والفجار والجاهلين والغارقين في المعاصي.

والاعتقاد بأنَّ صالحي البشر أفضل من الملائكة ، كما ذكره شيخ الإسلام رحمه الله حيث يقول بعد ذكره الأحاديث والآثار عن السلف ما نصه :

« وأقل ما في الآثار أنَّ السلف الأولين كانوا يتناقلون بينهم: أنَّ صالحي البشر أفضل من الملائكة من غير تكبرٍ منهم لذلك ، ولم يخالف أحدٌ منهم في ذلك ، إنما ظهر الخلاف بعد تشتت الأهواء بأهلها وتفرق الآراء ، فقد كان ذلك كالمستقر عندهم»(١).

ويفصل شيخ الإسلام مسألة التفضيل بأنَّ صالحي البشر أفضل باعتبار الغاية والنهاية ، وأنَّ الملائكة أفضل باعتبار الحال والبداية.

فالملائكة الآن في الرفيق الأعلى وأبعد ما يكونون عما يلابسه بنو آدم من المعاصي والخطايا ، وهم مستغرقون في عبادة الله تعالى وطاعته ، وأما البشر فإنَّ صالحيهم إذا كملوا ووصلوا إلى غايتهم ودخلوا الجنة واستقروا في الدرجات العلى فإنَّ حالهم يصير أكمل وأفضل من حال الملائكة حيث إنَّ الملائكة تقوم بخدمتهم بإذن ربهم في ذلك المقام الرفيع(٢).

مسألة اطلاعهم ومعرفتهم بالهم

وذلك لحديث: « **إذا همَّ العبد بحسنةٍ فلم يعملها كُتبت له حسنةٌ** ...» الحديث ، فإذا كان الهم سرّاً بين العبد وبين ربه فكيف تطلع الملائكة عليها؟

سُئل شيخ الإسلام رحمه الله عن هذه المسألة فأجاب بما رُوي عن سفيان بن عيينه قوله : «أنه إذا همَّ بحسنة شمَّ الملك رائحةً طيبةً ، وإذا همَّ بسيئةٍ شمَّ رائحةً خبيثةً ، ثم قال : «والتحقيق أنَّ الله قادرٌ أن يُعلم الملائكة بما في نفس العبد كيف شاء...».

ثم قال أيضاً: «وقد قيل في قوله تعالى : ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾ [ق: ١٦] ، إنَّ المراد به الملائكة».

---

(١) مجموع الفتاوى (٤/ ٣٦٩).

(٢) مجموع الفتاوى (٤/ ٣٥٠) ، لوامع الأنوار (٢/ ٣٩٨).

الإيمان بالكتب

الإيمان بالكتب

أولاً – القرآن الكريم.

القرآن لغةً :

مصدرٌ مرادفٌ للقراءة: ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴾ [القيامة: ١٧ – ١٨] ، ثم جُعل اسماً للكلام المعجز المنزل من باب إطلاق المصدر على مفعوله.

واصطلاحاً :

هو كلام الله تعالى المعجز ، المنزل بواسطة الأمين جبريل على محمدٍ ﷺ هدايةً وإعجازاً ، المكتوب في المصاحف ، المتعبد بتلاوته.

لقد كان رسول الله ﷺ يبلغ الصحابة ما ينزل عليه بالقراءة عليهم على مكثٍ وتمهلٍ؛ حرصاً منه على الإحسان في التلقي والأخذ ، والتيسير لهم في حفظه وفهمه ، وكان يشرح لهم القرآن ويبين معانيه ومراد الله تعالى في كل ما خفي عليهم منه بقوله وفعله وتقريره وخُلُقه العظيم ، فسنته عليه الصلاة والسلام تبين القرآن وتوضحه: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [النحل: ٤٤] .

وهكذا كان الصحابة يتلقون القرآن والسنة معاً من فـيِّ رسول الله، وكانوا يكتبون القرآن دون السنة في الألواح والرقاع وغيرها لأمر رسول الله: «**لا تكتبوا عني ، ومن كتب عني غير القرآن فليمحه ، وحدثوا عني ولا حرج ، ومن كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار**»(١) ؛ وذلك مخافة التباس القرآن كلام الله تعالى بكلامه ﷺ، أو بكلام غيره من الخلق ، وعلى هذا مضى الرعيل الأول في عهد النبي ﷺ ، وعهد صاحبيه ورفيقيه في الدنيا والآخرة: أبي بكرٍ وعمرَ رضي الله عنهما وأرضاهما ، ثم جاءت خلافة عثمان رضي الله تعالى عنه ، ودين الله في انتشارٍ ، ودولته في اتساعٍ ، مما أدى إلى التخوف على القرآن وعلى أهله وحملته من جراء الفتوح والحروب ، ومن اختلاطهم بالأمم الأخرى في مختلف الأمصار ، فأمر الخليفة الراشد رضي الله عنه بجمع القرآن في مصحفٍ إمامٍ قبل اختلاف الناس على القرآن وحصول الفتنة والفساد العظيم في دين الله ، أمرهم يوم كان حملة القرآن متوافرين كثيرين ، وهكذا اجتمع الناس على مصحف عثمان رضي الله عنه ، ولم يزالوا كذلك؛ تحقيقاً لوعد الله تعالى بحفظ كتابه حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

---

(١) رواه مسلم.

نزول القرآن .

قال تعالى : ﴿ وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ ﴾ [الإسراء: ١٠٥]. وللقرآن تنزيلاتٌ ثلاثة :

١- التنزل إلى اللوح المحفوظ قال تعالى : ﴿ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝٢١ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴾ [البروج: ٢١ – ٢٢] ، وهذا لا يعلم وقته ولا كيفيته إلا هو سبحانه وتعالى.

٢- التنزل إلى بيت العزة في السماء الدنيا قال عز وجل : ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ﴾ [الدخان : ٣] ، وقال سبحانه: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴾ [القدر: ١]. يقول ابن عباس رضي الله عنهما : « أنزل القرآن جملةً واحدةً إلى السماء الدنيا ليلة القدر، ثم أنزل بعد ذلك في عشرين سنة ...».

وهذا التنزيل كان جملةً واحدةً وليس مفرقاً؛ لأنه كان في ليلةٍ واحدةٍ ، وقد ذكر الإمام القرطبي الإجماع على نزول القرآن جملةً من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في السماء الدنيا.

٣ - التنزل بواسطة الأمين جبريل على قلب وسمع النبي الكريم عليه الصلاة والسلام قال تعالى : ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ۝١٩٣ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴾ [الشعراء: ١٩٣ – ١٩٤] ، وقد بدأ هذا التنزل من بداية بعثته وانتهى قبيل وفاته عليه الصلاة والسلام ، وتقدر بنحو ثلاث وعشرين سنة ، وأول ما نزل صدر سورة اقرأ باسم ربك الذي خلق ، وآخر ما نزل قوله تعالى من سورة البقرة: ﴿ وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ البقرة: ٢٨١] ، هذا على اختلافٍ بين أهل العلم في ذلك.

وكان ينزل منجماً، قال سبحانه: ﴿ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴾ [الإسراء: ١٠٦] ، ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴾ [الفرقان: ٣٢].

- والحكمة في نزوله منجماً تثبيت قلب النبي ﷺ كما قال عز وجل : ﴿ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ ﴾ ، فكان كلما ينزل عليه جبريل بالقرآن يقوي قلبه بمشاهدته فيسهل عليه حمل الأمانة ، ويصبر على أذى أهل الكفر والشقاق؛ وذلك لما في نزول جبريل عليه من التسلية وطيب النفس بوعد الله ونصرته وتأييده.

- ومن الحكم أيضاً التدرج في التشريع؛ إذ لو كان نزول الأحكام دفعةً واحدةً على الخلق لثقلت عليهم ، ولا يخفى أنَّ نزول الأحكام مفرقةً فيه تخفيفٌ وتيسيرٌ على أهل الإيمان.

- ومنها أيضاً تسهيل حفظه على رسول الله ﷺ وعلى الأمة وعدم الاعتماد على الكتابة اعتماداً كليّاً؛ لتبقى سنة الحفظ في الصدور في هذه الأمة، والمشافهة في التلقي تمييزاً لهذه الأمة عن غيرها من أهل الملل والأديان السابقة ، ولا يخفى أيضاً ما في التنزل منجماً من سهولة تدبره وفهم مراد الله تعالى منه.

- ومنها أيضاً مسايرته للحوادث، فكان ينزل بحسب أسئلة الناس والوقائع والحوادث ، فكان التنزل موافقاً لكل حادثةٍ وواقعةٍ لبيان حكم الله تعالى والصواب والرشاد ، ولا يخفى ما في ذلك من العظة والعبرة.

ومن أعظم المقاصد من إنزال القرآن :

أ- الهداية والرشاد لعموم أهل التكليف :

قال تعالى: ﴿ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَۚ ﴾ [الأنعام: ١٩] . وقال عز وجل : ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ [الأعراف: ١٥٨] .

فالغاية من إنزال القرآن السمو بالنوع الإنساني إلى أعلى مراتب ودرجات الكمال بلوغاً بهم إلى التوفيق والانسجام بين الروح والجسد ، وتنظيماً لعلاقاتهم فيما بينهم وبين خالقهم ، وفيما بينهم وبين الخلق أيضاً ، والهداية والرشاد في القرآن تتضمن جميع الجوانب الاعتقادية والتعبدية والأخلاقية بأسلوبٍ واضحٍ مقنعٍ يسيرٍ.

ب - التأييد لبعثة النبي ﷺ :

وذلك بالإعجاز والتحدي، ليكون شاهداً على صدقه في بعثته ورسالته ، فجاء القرآن بوجوهٍ متعددةٍ من الإعجاز لتحقيق هذا المقصد العظيم.

قال النبي ﷺ : «**ما من الأنبياء نبيٌّ إلا أُعطي من الآيات ما مثله آمن عليه من البشر ، وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إلي ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً** »(١).

ج- التعبد لله تعالى :

وذلك بتلاوته؛ لأنه كلامه سبحانه وتعالى ، فجعل من هذه التلاوة ميداناً عظيماً من ميادين العبادة والتقرب إليه سبحانه ، ففي مجرد التلاوة أجرٌ عظيمٌ.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ [فاطر: ٢٩ - ٣٠] .

وقال عليه الصلاة والسلام : «من قرأ حرفاً من كتاب الله تعالى فله حسنةٌ ، والحسنة بعشر أمثالها ، لا أقول ألم حرفٌ ولكن ألفٌ حرفٌ ولامٌ حرفٌ وميمٌ حرفٌ»(٢).

---

(١) رواه البخاري .

(٢) رواه الترمذي وصححه .

إعجاز القرآن

جرت حكمة الله وسنته في خلقه أن يؤيد الأنبياء والمرسلين بالدلائل، والآيات، والبينات ، والبراهين الساطعات التي تدل على صدقهم في دعوتهم ، والتي تيسر على الناس تصديقهم والإيمان بهم، لينالوا الخير العظيم في الدنيا والآخرة.

يقول النبي ﷺ : «**ما من الأنبياء نبيٌّ إلا أُعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر ، وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إلي ...الحديث**»(١).

ونبينا عليه الصلاة والسلام قد خُصَّ بأعظم الآيات: بالقرآن العظيم ، والوحي الإلهي الذي ألقاه على قلبه.

وقد كانت معجزات وآيات الأنبياء السابقين ماديةً حسيةً تناسب عصرهم ، وأما معجزة نبينا ﷺ فإنها روحيةٌ عقليةٌ باقيةٌ خالدةٌ تشهد بصدقه ونبوته ما بقي هذا الدين ، فإعجازه للخلق وتحديه لهم بأن يأتوا بمثله باقٍ لجميع الجاحدين المنكرين ما بقيت السموات والأرض.

يقول ابن القيم رحمه الله : «إن الإعجاز القرآني له وجوهٌ متعددةٌ: من جهة اللفظ ، ومن جهة النظم ، ومن جهة البلاغة في دلالة اللفظ على المعنى ، ومن جهة معانيه التي أمر بها ، ومعانيه التي أخبر بها الله تعالى، وأسمائه وصفاته وملائكته وغير ذلك ، ومن جهة معانيه التي أخبر بها عن الغيب الماضي ، وعن الغيب المستقبل ، ومن جهة ما أخبر به عن المعاد ، ومن جهة ما بين من الدلائل اليقينية والأقيسة العقلية التي هي الأمثال المضروبة».

هذا قول جمهور أهل السنة في إعجاز القرآن الكريم ، وأما قول المعتزلة من أنه إعجازٌ بالصرف ، فإنه قولٌ ساقطٌ يشهد بخذلان قائله ومتبنيه؛ فإنهم لَمَّا خذلهم الله تعالى وانصرفوا عن النصوص الشرعية واستبدلوا الذي هو أدنى بالذي هو خيرٌ، زعموا أنَّ الإعجاز القرآني إنما يعني أنه معجزٌ بصرف الدواعي مع قيام الموجب لها ، أو أنه معجزٌ بسلب القدرة الجازمة ، أي أنَّ الله تعالى صرف قلوب الأمم عن معارضته مع قيام المقتضى الذي هو التحدي ، أو أنه تعالى قد سلبهم القدرة فأعجزهم عن المعارضة رغم أنهم كانوا يملكون القدرة على المعارضة، ولكنهم لا يفعلون؛ لانصراف قلوبهم وهممهم عن ذلك مع قيام التحدي، أو أنهم عاجزون مسلوبو القدرة على ذلك بعد التحدي.

وهذه أقوالٌ غايةٌ في السقوط والضلال ألقاها إبليس وحزبه على قلب شيطان المعتزلة والمتكلمين أبي إسحق النظام ، وأجراها على لسانه الخبيث ، ثم تلقتها الرافضة عنهم بإخلاصٍ وأمانةٍ لما فيه من مخالفة أهل الحق.

ولا يحتاج المسلم إلى أدلةٍ يستدل بها على بطلان هذه الأقوال ، ولكن أورد شيئاً لعل فيه العظة والعبرة.

أمّا قولهم: إنَّ الله تعالى صرف قلوب الخلق وهممهم عن المعارضة ، فإنه ساقطٌ لما قد ثبت من قيام بعض السفهاء بما زعموه قرآناً يعارضون به قول الله تعالى وكلامه تأييداً لدعواهم الكاذبة.

---

(١) رواه البخاري .

وأما ما ذهبت إليه الرافضة من أنَّ الله سلبهم القدرة والعلوم التي يحتاجون إليها في المعارضة، فهاهم العرب الذين نزل القرآن فيهم بالتحدي والإعجاز لم يزعم أحدٌ منهم على شركهم وكفرهم وعنادهم أنهم سُلبوا شيئاً مما كانوا يتمتعون به قبل نزول القرآن من أنواع البلاغة، والبيان، والفصاحة في جميع أساليبهم من شعرٍ، ورجزٍ، ورسائل، وخطابةٍ وغيرها مما كانوا يتنافسون فيه بإظهار الفصاحة، والبلاغة والبيان.

وممّا ذكر عن بعض من عارض بهرائه القرآن الكريم :

ما كان من سجاح بنت الحارثة التغلبية ، من نصارى العرب حيث ادعت النبوة وسارت بجيشٍ من قومها لغزو أبي بكر ﷺ ثم انضم إليها بنو تميمٍ الذين استجاب لها عامتهم ، ومما قالت تزعم أنه الوحي :

«أعدوا الركاب ، واستعدوا للنهاب ، ثم أغيروا على الرباب ، فليس دونهم حجابٌ».

«عليكم باليمامة، ودفوا دفيف الحمامة؛ فإنها غزوةٌ صرامةٌ لا تلحقكم بعدما ملامةٌ».

وكذا ما كان من مسيلمة بن حبيبٍ الكذاب فإنه عارض القرآن قائلاً : «... رآكم ربكم فحياكم ، ومن وحشةٍ خلاكم ، ويوم دينه أنجاكم .. لا أشقياء ولا فجار ، يقومون الليل ويصومون النهار لربهم الكبار رب الغيوم والأمطار».

« ألم تر إلى ربك كيف فعل بالحبلى ، أخرج منها نسمةً تسعى، من بين صفاق وحشي..».

«يا ضفدع بنت الضفدعين ، نقي لكم تنقين ، لا الماء تكدرين، ولا الشارب تمنعين ، رأسك في الماء وذنبك في الطين».

«والمبذرات زرعاً، والحاصدات حصداً، والذاريات قمحاً، والطاحنات طحناً، والخابزات خبزاً ، والثاردات ثرداً، واللاقمات لقماً إهالة وسمناً».

إلى غير ذلك من الكلام السخيف الركيك البارد ، والخرافات والترهات التي يأنف من قولها وسماعها الصبيان وهم يلعبون.

وكذلك ما ذُكر عن أبي العلاء المعري، وأبي الطيب المتنبي، وعبد الله بن المقفع الكاتب البليغ المشهور ، فقد اشتهر عنهم أن نفوسهم حدثتهم بمعارضة القرآن لما أُعجبوا بأنفسهم وبلاغتهم وقدرتهم على التأليف الرائع في الشعر والنظم والنثر ، ولكن الخذلان والخيبة كانت نهايتهم ، فيُحكى عن ابن المقفع أن سبب عدوله عن هذا الأمر أنه سمع صبياً عند الكتاب يقرأ قوله تعالى : ﴿ وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [هود: ٤٤] .

فيقال: أنه كسَّر الأقلام ومزَّق الصحف التي كان قد كتب فيها بعضاً من بدايات معارضته للقرآن الكريم.

ويذكر العلماء أنَّ من نظر بين أسلوب القرآن الكريم وأسلوب سيد المرسلين في أحاديثه وهو لا شك أنه أفصح من نطق بالعربية، وأروع من حقَّق البلاغة في أسلوبه، وأعظم من أُوتي جوامع الكلم ﷺ ، فكيف بعد ذلك بأسلوب

من هم دونه ممن اجتالتهم الشياطين من مردة الإنس وأعوان الشياطين فإنه يجد فرقاً عظيماً، وبوناً شاسعاً بين الأسلوب القرآني وبين أحاديث الرسول ﷺ ؛ وذلك لأن الأول كلام الله تعالى الذي لا يشبهه كلام البشر على الإطلاق.

انظر إلى قول النبي ﷺ عن نعيم الجنة مثلاً :

«**فيها ما لا عينٌ رأت، ولا أذنٌ سمعت، ولا خطر على قلب بشرٍ...**»، وإلى قول الله تعالى في ذلك :

﴿ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ ﴾ [الزخرف: ٧١] .

﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾ [السجدة: ١٧] .

وكذلك قول الرسول الله ﷺ : «**كلكم راعٍ، وكلكم مسئولٌ عن رعيته ، الرجل راعٍ في بيته ومسؤولٌ عن رعيته..**».

وقول الله تعالى : ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [الحجر: ٩٢ - ٩٣] ، وقوله عزَّ وَجَل : ﴿ فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [الأعراف: ٦] .

فالعاقل والسعيد من وفقه الله لتدبر كلام الله تعالى، ومعرفة عظيم أسلوبه ووزنه وجميل تركيبه ولفظه وحسن عبارته ، وأنه لا يشبهه شيءٌ من كلام البشر، ولا يماثله، ولا يدانيه بوجهٍ من الوجوهِ: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ [الشورى: ١١]

ومما يلحق بمعارضة القرآن ما تزعمه البهائية والقاديانية حيث إنهم يزعمون أنَّ زعماءهم قد وضعوا لهم كتباً يعارضون بها القرآن الكريم ، ولكنهم لم يظهروها بزعمهم لأنه لم يحن وقت ظهورها بأمرٍ ممَّن يزعمونه يوحى إليهم.

وقد سبقهم إلى هذا الضلال العظيم أسيادهم من الرافضة الذين زعم قدماؤهم ، ومازال أذنابهم على ذلك العهد ، حيث يزعمون جميعاً بأنَّ لديهم كتاباً وقرآناً غير الذي بين أيدي الناس ، ويسميه بعضهم مصحف فاطمة وأنه محفوظٌ في غياهب سرادب الخزانة في أورقة دولتهم المهدية المزعومة ، وأنَّ مهديهم سيخرجها للناس عند خروجه من ظلمات سردابهم وجهلهم، ثم تضرب لهم المضارب العظيمة حول قبر عليٍّ بزعمهم وهناك يقوم المهدي الذي لا وجود له إلا في ظلمات عقولهم وسفاسف أحلامهم بتدريس وتعليم الشيعة القرآن المزعوم ، ألا شاهت العقول والمعتقدات.

ذكر بعض ما يدل على أنَّ القرآن كلام الله وأنه معجزٌ

١) النظم البديع، والبلاغة الرفيعة التي لم يعهد مثلها في أهل الفصاحة والبيان ، مع التزام الصدق والحق والتنزه عن الكذب والمبالغة المعهودة عندهم.

٢) الأسلوب العجيب في جميع المقاطع والفواصل، مع دقة البيان، وحسن العبارة، وسلاسة التركيب الذي لم يُعهد مثله؛ حيث تحيرت فيه عقول أهل البلاغة والفصاحة والحكمة : ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء: ٨٨].

ويُروى عن الوليد بن المغيرة أنه لما سمع من النبي ﷺ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [النحل: ٩٠] ، قال: « **والله إنَّ له لحلاوة، وإنَّ عليه لطلاوة ، وإنَّ أسفله لمغدق، وإن أعلاه لمثمر ، ما يقول هذا بشر** ...». ويروى أنه قد رقَّ قلبه ، ولما كلموه في ذلك قال : والله ما منكم أحدٌ أعلم بالأشعار مني ، والله ما يشبه الذي يقول شيئاً من هذا".

٣) تضمنه لذكر أخبارٍ عن أحوالٍ مستقبلةٍ، وحوادثَ آتيةٍ ، ثم جاءت الأيام وتحققت تلك الأخبار على وفق ما جاء به. قال تعالى : ﴿ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ﴾ [الفتح: ٢٧] ، وقال عزَّ وجل: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [النور: ٥٥] ، وقال سبحانه : ﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾ فِى بِضْعِ سِنِينَ ... ﴾ [الروم: ١ - ٤] . وقال عزَّ من قائل: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩] .

٤) إخباره عن الأمور الماضية، والقرون السالفة، والأمم الهالكة ، مع التيقن من أمية الرسول ﷺ وعدم قراءته للكتب السابقة، وعدم اشتغاله بالدراسة والتعلم.

٥) كشفه لكثيرٍ من أسرار المنافقين، وأنواع كيدهم ومكرهم مما كانوا يتواطؤون عليه ويخفونه ، ولكن الله تعالى كان يخبر بها ويكشف عما يسرونه في أنفسهم أو فيما بينهم.

٦) ذكره لأنواعٍ من العلوم الدنيوية والكونية مما لم تعهده العرب ولم تعلمه ، وكذلك العلوم الدينية سواء في باب العقائد أو الشرائع، وكثيرٍ من القواعد السلوكية والأخلاقية والاجتماعية.

٧) التنزه عن الاختلاف والاضطراب والتناقض في شيءٍ من العلوم والحقائق والأخبار فضلاً عن التفصيل في العقائد المتعلقة بذات الله تعالى أو أسمائه أو صفاته، أو سائر ما يتعلق بعالم الغيب وذكر الجنة والنار، رغم تضمنه

لها على التفصيل لا الإجمال ، قال تعالى : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ [النساء: ٨٢] .

٨) خلود إعجازه من لدن نزوله وإلى يومنا هذا وحتى يرث الله تعالى الأرض ومن عليها ، مع عدم وجود معارضٍ في أي زمنٍ رغم محاولات الجاحدين الملحدين في مختلف الأمصار والأعصار.

٩) ازدياد محبة تلاوته بتكراره، فلا السامع يمجه، ولا القارئ يسأمه ، رغم أنَّ الطباع تكره الترديد في الأقوال والأسماع مهما بلغت بلاغتها وارتفعت فصاحتها.

١٠) تيسير حفظه في الصدور، وتوالي الهمم في ذلك، فها هي الأمة الإسلامية لا تزال تحفظ هذا الكتاب في صدور الأطفال والرجال، ويتناقلونه مشافهةً ، وما ذلك إلا بتيسير الله تعالى ذلك، كما في قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ ﴾ [القمر: ١٧].

١١) الخشية والهيبة التي تنتاب قلوب السامعين ولو كانوا لا يفهمون له معنىً ولا يعقلون له مقصداً ، وهذا أمرٌ مشاهدٌ محسوسٌ.

التوراة والإنجيل

التوراة :

تعني الشريعة التي أنزلها الله تعالى على موسى ، وتُسمى أيضاً :أسفار موسى ، والعهد القديم ، والناموس ، وتتكون من:

١ – خمسة أجزاء أو أسفارٍ وهي :

١ – سفر التكوين.

٢– سفر الخروج (خروج بني إسرائيل من مصر والذي أدخلهم هو يوسف).

٣ – سفر التثنية.

٤– سفر اللاويين (العبادات) .

٥– سفر العدد (إحصائيات عن عددهم وجيوشهم).

وتتناول هذا الأسفار النصوص المتعلقة بأصل الكون وبدء الخليقة، وما جرى من أحداثٍ كونيةٍ أو دينيةٍ من بدء الخلق وبعث الرسل، وما جرى لهم من أقوامهم حتى دخول اليهود أرض كنعان الموعودة ، وذلك بعد خروجهم من مصر ، أو إلى وفاة موسى عليه الصلاة والسلام.

٢ – مجموعة من الكتب التاريخية التي تصف أحوال اليهود ، وتدافع عنهم ، وتشتمل كذلك على سير بعض ملوكهم وأنبيائهم.

ومجموعة من الكتب النبوية التي تعتبر وصايا أنبياء بني إسرائيل ونصائحهم لليهود ، ومجموعة من كتب الشعر والحكمة كمزامير داوود وغيرها ، وبعض الأناشيد الدينية التي تركز على الحب الإلٰهي ، وغير ذلك من كتب الأمثال والحكم من أقوال سليمان عليه السلام وغيره.

وأصل التوراة التي أنزلها الله تعالى على عبده ورسوله موسى عليه السلام في طور سيناء هدىً ورحمةً لبني إسرائيل في العقائد والشرائع ، كانت مكتوبةً في الألواح التي أخذها موسى ، ثم كتب منها ثلاث عشرة نسخة ، وأعطى كل سبطٍ نسخةً ، ووضع نسخةً في التابوت.

ويذكر التاريخ أنَّ التابوت فُتح في عهد سليمان بعد مرحلةٍ تاريخيةٍ طويلةٍ مر بها اليهود مليئةً بالقتل والتشريد والاضطهاد ، وبعد تعرض بيت المقدس للسلب والنهب والتدمير ، فإنهم لم يجدوا النسخة التي كانت في التابوت ، وأما النسخ الأخرى فكانت أولى بالضياع.

ويؤكد محققو التاريخ أنَّ اليهود هم الذين أعدموا التوراة ، وكتبوا بأيديهم غيرها مما يتناسب مع أخلاقهم وطباعهم ومصالحهم ومطامعهم ، وما كتبوه هو الكتاب المقدس عندهم ويُسمى التلمود.

أما التوراة المحرفة فهي مجرد كتابٍ تاريخيٍّ أسطوريٍّ في معظمه ، ومن مكر اليهود وعبثهم بالأديان فقد دمجوه إلى العهد الجديد ليكونا معاً «الكتاب المقدس» عند النصارى ، فالنصارى تعظم وتدين بالعهد القديم والعهد الجديد معاً ، وأما اليهود فالعهد القديم بالنسبة لهم أساطير تاريخية، وكتاب ملاحمَ وقصصٍ وأمثالٍ ونحو ذلك ، وأما كتابهم المقدس الذي يلتزمون به ويعملون به فهو التلمود الذي أودعوه ما يكفل بقاء اليهود ويكفل سيادتهم على أمم الأرض ، ويكفل استخدام وتسخير الناس والخلق لهم ، إلى غير ذلك مما يتناسب مع انحرافات اليهود وزعمائهم في السلوك، وضلالاتهم في الاعتقاد. ويزعمون أنَّ التلمود مما أنزله الله على موسى ، وتناقله عنه المستقبلون إلى حملة الدين، ونقلته جيلاً بعد جيلٍ حتى دونوه وكتبوه.

ويتألف التلمود : ١- المشناه ، وهو الأصل والمتن.
٢- الجمارا ، وهو شرحٌ للمتن.

وهي في حقيقتها أول لائحةٍ قانونيةٍ وضعها اليهود أنفسهم بعد التوراة التي ساهموا في إعدامها وإتلافها.

والتوراة التي أنزلها الله تعالى على نبيه موسى قد كتبها بيده سبحانه وتعالى؛ تشريفاً وتكريماً ، ولتكون أدعى لاتفاق اليهود عليها وعدم الاختلاف؛ لأنها لم تعهد إلى حفظ الصدور الذي قد يعتريه الوهم والنسيان ، فأنزلها مكتوبةً لإقامة الحجة ، ولكن رغم ذلك فعل اليهود فعلتهم بكلام الله تعالى.

الإنجيل :

وأما الإنجيل ، فهي كلمةٌ مطلقةٌ تطلق الآن على أربعة أناجيل تُنسب لأصحابها وليست هي التي نزلت على عيسى ، يقول مؤرخوهم إنَّ إنجيل عيسى قد اختفى ولم يبق له أثرٌ بسبب الاضطهادات التي تعرض لها النصارى.

والحق أنَّ إنجيل عيسى واحدٌ وهو عبارةٌ عن تخفيف بعض الآصار التي كانت عليهم بسبب ظلم اليهود وتحريفاتهم ، وتحليلٍ لما حرموا على أنفسهم مما قد أحله الله تعالى ، وبعض الشرائع الدينية الأخرى ، وأهم ما في إنجيل عيسى عليه الصلاة والسلام هي الهدية العظيمة والبشارة الكريمة لقومه ولأهل الأرض قاطبةً بالنبي محمد ﷺ الذي يجيء بعده لإتمام دين الله تعالى وشرعه ، ولعل هذه البشارة هي أعظم أسباب اختفاء الإنجيل الحق.

ويقول بعض مؤرخيهم أنَّ النصارى كانوا يتناقلون أقوال المسيح وحوارييه نقلاً شفهيّاً ، وأن أول تراثٍ دينيٍّ مكتوبٍ ظهر هو رسائل بولس ، واستمر حتى ١٤٠م ، ثم بدأت تظهر الكتابات الإنجيلية في أماكن متفرقةٍ وبلغاتٍ متعددةٍ وتناقضاتٍ لا تقبل الحل؛ لذلك اجتمع أهل الحل والربط منهم للاتفاق على بعضها ، واستبعاد أكثرها لما فيها من التزوير والأخطاء. ويذكر أنَّ مجموع ما حُذف من الأناجيل مائة إنجيلٍ، وأجمعوا أمرهم على الاحتفاظ بأربعةٍ منها فقط، وهذه الأناجيل الأربعة تُنسب لأصحابها الذين كتبوها ، ولم يقل أحدٌ منهم فيها أنها نزلت على عيسى ، بل يقول لوقا مثلاً : «أنه يكتب قصةً عن حياة المسيح » ، والحق أنهم جميعاً هكذا فعلوا. لذلك نجد بينهم الاختلافات والتناقضات.

والأناجيل الأربعة هي في الحقيقة أربعة تواريخ ألَّفها رجالٌ معروفون ومعظمون عند النصارى ، وكانوا في أزمان مختلفةٍ.

والأناجيل الأربعة هي:

١) إنجيل متى: ألَّفه متَّى تلميذ المسيح بعد قرابة تسع سنوات من رفع المسيح باللغة العبرانية في بلاد الشام.

٢) إنجيل مرقس: ألَّفه مرقس الهاروني تلميذ شمعون بعد ثلاثٍ وعشرين سنة من رفع المسيح ، وكتبه باليونانية في بلاد أنطاكية. ويُقال: إن شمعون هو الذي ألَّفه ثم محى اسمه ونسبه إلى تلميذه. ويُقال أيضاً: إنه كتبه في بلاد رومية ، وقيل: في الإسكندرية من بلاد مصر.

٣) إنجيل لوقا: ألَّفه الطبيب لوقا الأنطاكي ، تلميذ شمعون ، بعد تأليف مرقس ، ويرجح مؤرخهم أنه ألَّفه وكتبه في سنة ٦٠ بعد ميلاد المسيح.

٤) إنجيل يوحنا: ألَّفه يوحنا تلميذ المسيح ، وكتبه باليونانية بعد رفع المسيح بستين سنة، أي قرابة ١٠٠ سنة بعد ميلاده، وكل واحدٍ من هذه الأربعة يسمونه الإنجيل ، وبينها من التفاوت والزيادة والنقصان ما هو ظاهرٌ معلومٌ.

ويتضمن العهد الجديد سبعة وعشرين كتاباً ، الأربعة الأولى هي الأناجيل التي تروي سيرة المسيح وبعض تعاليمه وأحواله مع حوارييه وغيرهم ، ويلي هذه الأربعة كتاب أعمال الرسل الذي يروي إنشاء الكنيسة المسيحية في بيت المقدس، ويزعم أنَّ روح القدس هو الذي نزل على أصحاب المسيح والذين آمنوا به.

ثم رسالة يعقوب، واثنتان لبطرس الرسول، وثلاث رسائل ليوحنا الرسول، ثم واحدة ليهوذا ، ويختتم العهد الجديد بكتابٍ عبارة عن رؤيا رآها يوحنا تحكي قصة النصارى منذ بدايتهم وما يواجهونه من اضطهاد وأحوال في هذه الدنيا ، وما سينعمون به في دار البرزخ ، ثم حالهم مع المسيح في مجيئه الثاني وانتصار دينهم ، ثم اليوم الآخر وما أعد لهم فيه من النعيم المزعوم.

٥) إنجيل برنابا : برنابا من أوائل من عرف حقيقة بولس ، وفضح نواياه ، وأذاع خباياه ، وكشف عقائده الخبيثة التي كان يدسها بين النصارى

التحريف في التوراة

في التوراة التي بين أيدي اليهود والنصارى من التحريف والتبديل ما لا يصح ولا يجوز نسبته إلى نبيٍّ من الأنبياء.

ففي التوراة مثلاً عن نبي الله لوط عليه السلام أنه بعد خروجهم من قريتهم سكن مع ابنتيه في كهف جبلٍ ، وأنه واقع ابنتيه بالفاحشة والعياذ بالله ، وقد حملتا بولدين من تلك الفاحشة.

وفيه أيضاً أنَّ الله تعالى تجلى لموسى في طور سيناء ، ثم تكلم معه وأعطاه بعض الآيات والبراهين لإثبات نبوته وصدقه.

وفيه أنَّ هارون هو الذي صنع العجل ليعبده اليهود.

وفيه أنَّ الله تعالى قال لإبراهيم اذبح ابنك بكرك إسحق.

وفيه أنَّ الله تعالى رأى كثرة فساد وظلم الآدميين في الأرض فندم على خلقهم وتوعد بالانتقام منهم.

وفيه أنَّ الله تعالى تصارع مع يعقوب الذي سرق النبوة من أخيه بحيلةٍ ماكرةٍ قام بها هو وأمه.

وفيه مقارفة عددٍ من الأنبياء لجريمة وفاحشة الزنا ، حتى إنَّهم اعتبروا داود عليه السلام ولد زنا ، تماماً كما قالوا في المسيح عليه السلام.

وفيه أنَّ الله تعالى خلق الخلق في ستة أيامٍ فاستراح يوم السبت.

وفيه أنَّ الله تعالى بخيلٌ وشحيحٌ وفقيرٌ.

وفيه أنَّ الله تعالى لما انتقم من أهل الأرض بالطوفان ندم وبكى حتى رمدت عيناه ، وعادته الملائكة في مرضه ذلك ، ثم إنه قال بعد ذلك لن أعاود أهلك جميع الخلق، ولن ألعنهم؛ لأن خاطرهم مطبوع على الرداءة.

وفيه أنهم يناجون ربهم ويحثونه على الانتصار لليهود وتأييدهم فيقولون قبحهم الله : «يا رب انتبه ، كم تنام ، يا رب استيقظ مـمن رقدتك».

هذا بعض مخازيهم وتحريفاتهم قبحهم الله تعالى ، وتعالى ربنا وتقدس عن ذلك علوّاً كبيراً ، وإلَّا فمخازيهم وفضائحهم لا تُعد وتُحصى ، وعلى رأسها قتل الأنبياء والمرسلين ، وإيذاء موسى ، وعبادتهم الأصنام ، واحتيالهم على الشرائع والأحكام ، والتحريف والابتداع في العبادات ، وإصرارهم على عظائم المنكرات وقبائح الأفعال والأخلاق ، واشتهارهم بأكل الربا والسحت والرشوة ، وبالخبث والمكر والحرص على الدنيا ، وقسوة القلوب والذل والخزي والتحايل.

التحريف في الإنجيل

الحق أنَّ الأناجيل أربعةٌ ، كتبها وألَّفها أربعةٌ ، اثنان منهم لم يريا المسيح أصلاً ، واثنان رأياه واجتمعا به وهما متى ويوحنا ، وكل منهم يزيد وينقص ويخالف إنجيله إنجيل أصحابه في أشياء ، ولا شك أنَّ بعد العهد عن المسيح من أسباب وقوعهم في الخطأ والنسيان والتحريف.

ومن أوضح صور التناقض والتضاد في الأناجيل :

أن عيسى عليه السلام لما شعر بخطر اليهود عليه قال : «جزعت نفسي الآن ...وأنه لما رفع على الخشبة ليصلب صاح صياحاً عظيماً وقال : يا إلهي لم أسلمتني؟ » فكيف يجتمع هذا القول مع زعمهم أنه هو الذي اختار تسليم نفسه؛ ليصلبوه ويقتلوه رحمةً منه بالعباد في قصتهم المزعومة الموسومة بالفداء.

وكذلك في ذكر نسبه حيث نسبه متَّى فقال : « عيسى بن يوسف بن فلان » ثم عدَّ إلى إبراهيم الخليل تسعةً وثلاثين أباً ، ونسبه لوقا فقال : « عيسى بن يوسف النجار» وعدَّ إلى إبراهيم نيفاً وخمسين أباً ، كيف يتفق هذا؟ أي تصييره ابناً ليوسف النجار مع زعمهم أنه ابن الإلٰه!

ومن أهم وأعظم تحريفات النصارى لدين الله تعالى ما ابتدعوه من عقيدة التثليث الخبيثة التي لم تكن في أمةٍ من الأمم السابقة.

ومنه أيضاً تعظيم الصليب واتخاذه ديناً وشعاراً ، وتعظيم الصور والتماثيل في كنائسهم ومعابدهم.

ومنه أيضاً الغلو في المخلوقين، واعتقاد الحلول في عيسى عليه السلام ، وتعظيم غيره من الرهبان والعلماء تعظيماً جاوز الحد المشروع ، بل بلغ الغاية في الغلو بما أضافوه عليهم من صفات الألوهية والربوبية بالخضوع لهم، وصرف الدعاء لهم، لاعتقاداتهم أنهم يغفرون الذنوب ويقيلون العثرات ، واعتقاد تصريفهم شئون الخلق ، وأنهم يملكون حق التشريع والتحليل والتحريم.

ومنه أيضاً ما كان من باب الشرائع كاستحلال أكل لحم الخنزير وغيره مما حرم الله تعالى ، وإسقاط الختان المشروع ، وعدم التعبد بالطهارة.

ومنه أيضاً تشريع الأعياد والمناسبات الدينية المزعومة التي جعلوها لمناسباتهم المبتدعة ووثنياتهم الشركية.

والحقيقة أنه ليس أضل من عباد الصليب ، باعتقادهم أن رب الأرض والسماء نزل من عرشه وعلوه ليدخل في مريم ، ويقيم في بطنها ورحمها تسعة أشهر بين اللحم والدم ، ثم تلده كما يولد بنو آدم ، وتحنو عليه صغيراً ، ثم يعيش في الأرض وتذيقه اليهود ألوان الإذلال والعذاب ، فكم لطموه على خديه ، وصفعوه على قفاه ، وبصقوا في وجهه إلى غير ذلك من ألوان العذاب مما حمله على البكاء والاستغاثة من الألم ، كل هذا مع اعتقادهم أنه هو الإله الخالق الرزاق

المتصرف ، ولكنه بزعمهم أسلم نفسه لأعدائه ليعذبهم بها في الآخرة ، وليفدي أولياءه وأنبياءه ورسله من مات منهم ممن هم في سجن وحبس إبليس ، ومن سيموت منهم ، فإنه يمكن أعدائه من تعذيبه وقتله وصلبه؛ ليخلص أولياءه وأحباءه من العذاب الأبدي ، وهذه هي قصة الفداء ، بل خرافة الفداء.

ويعظمون مريم على أنها أم المسيح ابن الله في الحقيقة ، لا أم لابن الله إلَّا هي ، ولا أب لابنها إلا الله، ولا ولد له سواه ، وأنَّ الله تعالى اختارها لنفسه لولادة ابنه من بين سائر النساء ، وأنها جالسة عن يسار الرب على العرش وابنها عن يمينه ، ويتوجهون لها بالدعاء والعبادة ويسألونها النفع في الدنيا والآخرة ، وهذه من أبشع ضلالتهم في أصول دينهم بعد التثليث المزعوم والذي سنتناوله بالتفصيل إن شاء الله.

وأما في فروع دينهم وشرائعهم فإنهم يخالفون المسيح مخالفةً عظيمةً ، فالمسيح شأنه شأن المصطفين جميعاً يدينون لله تعالى بالطهارة ، والنصارى لا يغتسلون من جنابةٍ ولا حيضٍ فضلاً عن الاستنجاء والاستجمار من البول والغائط ، بل يزعمون أنَّ الصلاة بالجنابة والبول والغائط أفضل من الصلاة بالطهارة لما فيها من مخالفة اليهود والمسلمين.

ويستفتحون صلاتهم بالتصليب على وجوههم ، ولا يقرؤون فيها بشيءٍ مِن التوراة أو الإنجيل؛ لأنهم قد استبدلوا بالذي هو أدنى من ألحانٍ مخترعةٍ وأناشيد مبتدعةٍ يتغنون بها وينوحون.

والمسيح أوجب الختان كما فعل موسى وهارون والأنبياء قبله ، وهم أسقطوه. وحرم الخنزير ولعن آكله وبالغ في ذمه ، والنصارى تتقرب إليه – بزعمهم – بأكله ، والمسيح صام صوماً شرعيّاً وهم أبدلوا شهر الصيام ونقلوه إلى الربيع ، وكذلك أباحوا لأنفسهم بعض الطعام ، وحرموا بعضه ليلاً ونهاراً.

والمسيح سلك في الذبائح والمناكح والطلاق والمواريث فضلاً عن العبادات والطهارة مسلك جميع الأنبياء قبله ، والنصارى غيَّروا و بدَّلوا، وهم ينقلون عنه قوله : « إنما جئتكم لأعمل بالتوراة وبوصايا الأنبياء قبلي ، وما جئت ناقضاً بل متمماً ».

التثليث عند النصارى

من أقوالهم: «نؤمن بالله الأب الواحد خالق ما يرى وما لا يرى ، وبالرب الواحد اليسوع المسيح ابن الله إله بكر أبيه وليس بمصنوع ، إله حق من إله حق ، من جوهر أبيه ، الذي بيده أتقنت العوالم وخلق كل شيء ، الذي من أجلنا معشر الناس ، ومن أجل خلاصنا نزل من السماء ، وتجسد من روح القدس ومن مريم البتول ، وحبلت به مريم البتول وولدته ، وأخذ وصلب ، وقتل أيام فيلاطس الرومي ، ومات ودفن ، وقام في اليوم الثالث كما هو مكتوب ، وصعد إلى السماء ، وجلس عن يمين أبيه...».

إن مما اتفقت عليه جميع الرسل والرسالات أنَّ الله تعالى واحدٌ لا شريك له ، ولا والد ولا ولد ، وأنه غني بذاته ، لا يشبه شيءٌ من المخلوقات ، ولا هو يشبه شيئاً من الخلق ، وأنه صمدٌ قيومٌ على كل شيء ، وأنه سبحانه سلامٌ قدوسٌ منزهٌ عن كل عيبٍ ونقصٍ. وهذا من المحكم في جميع الشرائع والأديان ، ولا يجوز أن تأتي شريعةٌ بخلافه ، ولا يصح أن يخبر نبيٌّ من الأنبياء بخلافه أو ما يعارضه ويضاده.

كفر عباد الصليب بهذا الحكم المتفق عليه بين أهل الأديان، وتمسكوا ببعض المتشابه من المعاني ، والمجمل من الأقوال ، ولعل ما تعلقوا به هو من بعض التحريفات والزيادات في كلام الله تعالى.

يقول ابن القيم رحمه الله تعالى في ذكر بولس :

«... بولس الشمشاطي ، وهو أول من ابتدع في شأن المسيح اللاهوت والناسوت ، وكانت كلمة النصارى قبله واحدةً أنهُ عبدٌ رسولٌ مخلوقٌ مصنوعٌ مربوبٌ ، لا يختلف فيه اثنان منهم ، فقال بولس هذا ، وهو أول من أفسد دين النصارى...» .

يزعم النصارى أنهم صاروا إلى القول بالتثليث؛ لأن الشرع أمرهم بذلك ، وفي الحقيقة أنهم يجدون في أنفسهم وعقولهم نفرةً عن هذه العقيدة؛ لأنها أولاً تخالف الفطرة ، وتخالف ما عليه سائر أهل الأديان ، ولأنهم يقرون بأنها مسألةٌ تفوق حدود العقل ، فلا يتفقون في تفسيرها وتحديد معناها فضلاً عن الإيمان بها عقيدةً جازمةً لا تقبل الشك والتردد.

وعمدتهم في عقيدتهم ما يزعمونه من قول المسيح :

« اذهبوا إلى جميع أمم الأرض وعمدوهم باسم الرب والابن وروح القدس ، الإله الواحد ، وعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به » .

هذا رغم وجود نصوصٍ كثيرةٍ في أناجيلهم تنص على الإله الواحد مثل: « الإله واحدٌ ، خالقٌ واحدٌ ، ربٌ

واحدٌ » ولكنهم يتعلقون بذلك النص الذي هو من قبيل المتشابه في المعنى والمراد ، أو من قبيل المجمل من النصوص هذا إن صح وثبت النقل أنه عن المسيح عليه السلام.

يقول بعضهم في بيان المعنى المراد في التثليث :

- الأب هو الوجود ، والابن هو الكلمة ، وروح القدس هو القدرة.
- الأب هو الجواد ، والابن هو الحكيم ، وروح القدس هو القادر.
- أن الأب ولدت منه الكلمة ، ومريم ولد منها الناسوت ، واتحد الناسوت باللاهوت فكان الابن.
- واحدٌ في ثلاثةٍ ، ثلاثةٌ في واحدٍ: إلهٌ واحدٌ ، ربٌ واحدٌ ، خالقٌ واحدٌ ، وهو الذي نقول أبٌ وابنٌ وروح القدس.
- نؤمن بالأب ، والابن ، وروح القدس ، إله واحد.
- اتحد الابن بإنسانٍ مخلوقٍ، فصار هو وما اتحد به مسيحاً واحداً ، اتحد الجوهر اللاهوتي بالجوهر الناسوتي اتحاداً تامّاً ، وإنَّ المسيح إلهٌ معبودٌ وإنه ابن مريم التي حملته وولدته ، وإنه قتل وصلب.
- أن الجوهرين بقي كل منهما على عنصره ، فالمسيح بعد الاتحاد جوهران ، أحدهما لاهوتي والآخر ناسوتي ، وأن القتل والصلب وقعا من جهة ناسوته لا من جهة لاهوته ، ومريم حملت بالمسيح وولدته من جهة ناسوته ، والمسيح بكماله إلهٌ معبودٌ وأنه ابن الله
- أن الاتحاد كان من جهة حلول الأب في الجسد ومخالطته إياه ، ومنهم من زعم أن الاتحاد على جهة الظهور ليظهر الناس كظهور صورة الإنسان في المرآة ، فاسم الله لثلاثة معان ، فهو واحد في ثلاثة ، ثلاثة في واحد.

هكذا يختلفون في أهم أصل من أصولهم المزعومة، والنجاة في الدارين مدارها على هذا الاعتقاد المخالف للفطر ، والعقول ، ولأصول جميع الديانات والنبوات السابقة واللاحقة ، ثم إنَّ تفسيرهم يزيد الأمر غموضاً حيث يزعم أساطينهم في نهاية الأمر أنَّ الأمر فوق العقل والمنطق ويجب الإيمان به لوروده في النقل ، وكذبوا.

بين أهل الكتاب والأمة الإسلامية

إنَّ الناظر في حال اليهود النصارى ، والمتدبر لشؤنهم في العبادة والأخلاق ، ليجد أنَّ كلّاً منهما في طرف ضلالٍ وانحرافٍ وتنكبٍ عن صراط الله تعالى ، وأنه يتقابل مع الطرف الآخر . فإن نظر بعد ذلك في أمر هذه الأمة وجدها في الوسط بين الطرفين ، وعلى صراط الله تعالى المستقيم في جميع أمور الدين: في أبواب التوحيد ، والنبوات ، والشرائع والأخلاق.

أقام الله لليهود الآيات البينات التي رأوها بأم أعينهم في فرعون وقومه ، ورأوا كيف أقام الله تعالى لهم البحر جداراً عن يمينهم، وجداراً عن يسارهم ، وكيف أغرق الله عدوهم وهم يشهدون ، ثم هم بعد ذلك بربهم يعدلون ، فهاهم بمجرد نجاتهم حتى إن البلل لم يجف بعد، يطلبون من موسى أن يجعل لهم آلهةً وأصناماً يعبدونها من دون الله. وهاهم بمجرد أن غاب عنهم موسى لمناجاة ربه ، حتى كفروا بالله تعالى وجحدوا عظيم حقه وفضله. ثم غيَّروا أحكام الله وشرعه مع قساوةٍ عظيمةٍ في القلوب ، وجفوةٍ وغلظةٍ في معاملة الأنبياء والمرسلين لم يشهد لها التاريخ مثيلاً، حتى استحقوا غضب الله تعالى ولعنه لهم على ألسنة أنبيائهم ورسلهم.

وكذلك النصارى فعلت كما فعلت يهود من قبل ، فكما بدَّل أولئك شريعة موسى ، غيَّر هؤلاء شريعة عيسى. وكما كذب اليهود بالإنجيل وعيسى ، كذب هؤلاء بشريعة محمد والقرآن . ونؤمن إيماناً جازماً بأنَّ عيسى لم يشرع لهم التثليث ولا زعم أنه رب العالمين ، ولم يحل لهم أكل لحم الخنزير وغيره من المحرمات ، ولا أسقط عنهم الختان ، ولم يشرع لهم اتخاذ التماثيل والصور والصلبان ، ولا الدعاء للأموات والاستغاثة بهم وسؤالهم قضاء الحوائج ، ولم يشرع لهم الرهبانية، ولا صيام خمسين يوماً في زمن الربيع ، ولم يشرع لهم الأعياد المزعومة كعيد الحواريين ، والميلاد ، والغطاس ، والصليب ، وغير ذلك مما هو تحريفٌ وتبديلٌ في دين الله تعالى.

فاليهود يُشَبِّهون الخالق جل وعلا بالمخلوقين في صفات النقص والعجز ، كقولهم: إنه فقير بخيل وإنه يتعب وينصب وغير ذلك مما تقدم ذكره مما يتنزه عنه المخلوق فضلاً عن الخالق تعالى وتقدس.

والنصارى يُشَبِّهون المخلوق بالخالق في صفات الكمال والجلال ، وفي الحقوق كقولهم عن المسيح أنه ابن الله ، أو هو الله ، ثم صرف العبادة إليه وإلى مريم وغيرهما من الرسل المزعومين الذين يتوجهون إليهم بالعبادة والاستغاثة وطلب الحوائج في الدنيا والآخرة.

وأما أمة محمد ﷺ فإنهم يوحدونه سبحانه وتعالى توحيداً يتضمن كمال التنزيه والإثبات مع كمال الإذعان وقطع الطمع عن إدراك كيفيات ذاته ، وأفعاله ، وأسمائه ، وصفاته . وأنه هو المعبود بحقٍّ . والمستحق لأنواع العبادة دون غيره.

واليهود يحرمون على الله تعالى النسخ في شرعه ودينه افتراءً منهم؛ ليسوغ لهم التكذيب بعيسى والإنجيل. والنصارى فتحوا باب النسخ على مصراعيه ، فأباحوا لأكابرهم من قسيسين ورهبان إباحة وتحليل ما حرم الله ، أو تحريم ما أحل الله تعالى . وأما هذه الأمة فإنهم يؤمنون بأنه تعالى له الخلق والأمر، يفعل ما يشاء من تشريعٍ ونسخٍ ، ولا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون.

واليهود أهل جفوةٍ وغلظةٍ في السلوك مع الأنبياء والمرسلين والملائكة عليهم الصلاة والسلام، ويمثلون الغاية في الوقاحة وسوء الأدب مع أولياء الله تعالى وأهل صفوته ، فيصفونهم بأشنع الأوصاف وأقبح الألقاب مع سبهم وشتمهم وقذفهم بالعظائم ، ويتعدون ذلك كله إلى الضرب والتعذيب والقتل قبحهم الله تعالى . ويقابلهم النصارى الذين يعظمون عيسى ويرفعونه إلى منازل الألوهية والربوبية، وكذلك يفعلون بمن يعتقدون فيهم الولاية والصلاح ، فتجدهم لا يتورعون عن إضافة حقوق الربوبية والألوهية إليهم، فيعظمونهم ويعبدونهم من دون الله تعالى، ويسألونهم قضاء الحوائج في الدنيا والآخرة.

واليهود يبالغون في اجتناب النجاسات ، وطهارة الأبدان، مع انغماس قلوبهم في أوحال النجاسات المعنوية ، ويتساهلون في ملابسة جميع أنواع الخبائث ، بينما النصارى يستحلون جميع الخبائث والنجاسات الحسية؛ اعتقاداً منهم أنها أكمل في طهارة القلوب وتزكيتها.

وتزعم اليهود أنَّ شريعة التوراة شريعة العدل ، وتزعم النصارى أنَّ شريعة عيسى شريعة الفضل ، وأنه لا حاجة للناس لشيءٍ في الأديان بعد العدل والفضل.

فتقول اليهود: لمّا كان الله تعالى عدلاً جواداً ، وجب أن يظهر عدله في خلقه ، فأرسل موسى فوضع شريعة العدل . وتضيف النصارى بإيحاء من اليهود ، أنه لمّا كان الكمال إنما هو في الفضل الذي لا يتحقق إلا به سبحانه وتعالى ؛ لأنه ليس شيءٌ أكمل منه ، لذلك فإنه وجب أن يجود بكلمته باتحادها بذاتٍ محسوسةٍ لإظهار كمال قدرته وجوده وفضله على خلقه ، ولمّا لم يكن في الخلق أجل من الإنسان، اتحد بالطبيعة البشرية من السيدة الطاهرة.

أجاب عن هذه الشبهة الخبيثة شيخ الإسلام رحمة الله عليه فقال:

بل الشرائع ثلاثٌ ، شريعة عدلٍ فقط ، وشريعة فضلٍ فقط ، وشريعةٌ تجمع بين العدل والفضل ، فتوجب العدل ، وترغب في الفضل ، وهذه أكمل الشرائع . ثم ذكر أمثلةً وأدلةً على ما قال رحمه الله منها:

قوله تعالى: ﴿ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ﴾ [البقرة: ٢٨٠] .

قوله عز وجل: ﴿ وَأَن تَصَدَّقُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢٨٠] .

وقوله تبارك وتعالى: ﴿ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟ ﴾ [النساء: ٩٢] .

وقوله سبحانه: ﴿ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ ۚ ﴾ [المائدة: ٤٥].

وقوله: ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴾ [النحل: ١٢٦] .

وقوله: ﴿ وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ ﴾ [الشورى: ٤٠] .

ثم إنَّ شريعة التوراة يغلب عليها الشدة ، وشريعة الإنجيل يغلب عليها اللين ، وأما شريعة القرآن فإنها معتدلةٌ تجمع بين الشدة واللين:

قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ... ﴾ [البقرة: ١٤٣] .

وقال عز وجل: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ... ﴾ [الفتح: ٢٩] .

ففي شريعة القرآن من اللين، والعفو، والصفح، ومكارم الأخلاق أعظم مما في الإنجيل ، وفيها من الشدة والجهاد وإقامة الحدود أعظم مما في التوراة ، وهذا بلا شكٍ هو غاية الكمال، والعدل، والفضل.

ولهذا قال بعض أهل العلم : « بعث الله تعالى موسى بالجلال ، وبعث بعده عيسى بالجمال ، ثم ختمهم ببعثة محمد ﷺ بالكمال » .

وليس عند أهل الكتاب فضيلةٌ علميةٌ إلا عند هذه الأمة أكمل منها، فمن نظر بعين الإنصاف والعدل في علوم أهل الكتاب ، وعلوم المسلمين، وخاصّةً فيما يتعلق بالمعارف الإلهية الربانية، وما جاء به الخبر عن أبواب الغيب كالملائكة والجن، والجنة والنار، وتفاصيل المعاد والحشر والحساب، فإنه يجد بوضوحٍ أنَّ ما عند المسلمين أكمل وأتم وأدق وأوضح وأشمل مما عند أهل الكتاب سواء ما كان في عهدهم القديم أم الجديد.

وهكذا من نظر في عبادات أهل الكتاب ، وعبادات المسلمين، يجدهم أبعد عن التكلف ، وعن الخضوع والذل لغير الله تعالى، وأوضح في تحقيق التوحيد لله تعالى، وأداء حقوق الأنبياء والمرسلين ، وجميع خلق الله تعالى . كما يجدهم في جميع شرائعهم ومعاملاتهم وأخلاقهم أبعد عن التحايل والخداع والتكلف ، وأكثر مجانبةً للتطرف والجنوح عن الاعتدال والتوسط في دين الله تعالى.

هذه جملةٌ يسيرةٌ مما يتميز به أهل الحق عن غيرهم من أهل الأديان الأخرى، وما ذلك إلا بتوفيق الله تعالى وحده أولاً، وتكريمه لهذه الأمة التي خضعت لربها ورسولها بالسمع والطاعة وأحسنت في امتثال جميع أمره ونهيه. ثم لما امتازت به أيضاً من حفظ الدين المتمثل بحفظ كتاب الله تعالى وحفظ سنة نبيه ﷺ ؛ تحقيقاً لوعد الله تعالى لهم بحفظ هذا الدين وصيانته من أيدي العابثين ومكر الماكرين.

فالمسلمون يحفظون القرآن في صدورهم حفظاً يستغنون به عن المصاحف . روى مسلمٌ عن رسول الهدى فيما يرويه عن ربه جل وعلا : « إني منزلٌ عليك كتاباً لا يغسله الماء ، تقرأه نائماً ويقظاناً ».

فالمصحف لو غُسل بالماء، وضاعت منه الحروف والسطور ، فإنَّ ما في القلوب والصدور لن يضيع، ولن يُغسل لا بالماء ولا بغيره من أساليب وألوان الضياع والتحريف ، كما هو شأن الكتب المتقدمة التي كان محلها السطور والألواح والصحف لا الصدور والقلوب.

والقرآن ما زال محفوظاً في الصدور، ومنقولاً نقلاً متواتراً، حتى لو أراد عابثٌ أن يعبث ويغير من مصاحفنا، ثم عرض ذلك على صبيان المسلمين فضلاً عن علمائهم وقرّائهم، لعرفوا ذلك وكشفوه؛ رحمةً من الله لهذه الأمة، وصوناً منه تعالى لدينه وكتابه الذي نسخ به جميع الأديان والكتب المتقدمة.

وباء الحلول أصاب بعض أهل البدع:

وافق قومٌ من المنتسبين إلى الإسلام النصارى في هذا الضلال العظيم ، فمنهم من اعتقد الوحدة والحلول على وجه الخصوص في بعض المخلوقين كالرافضة والإسماعيلية ، ومنهم من اعتقدها على وجه أعم من ذلك ، فجعلها في جميع الشيوخ وأصحاب الطرق والعارفين بزعمهم.

فالشيعة تؤمن بالحلول ، فإنهم يعتقدون في أئمتهم بعض خصائص الربوبية والألوهية ، وهم أصحاب القول بالنور الإلهي الذي هو أصل الوجود ، ويعتقدون أن أئمتهم خُلقوا من ذلك النور. فينسبون إلى الصادق قوله : «... إن الله تبارك وتعالى خلقنا من نور عظمته ... » .

وينسبون إلى رسول الله ﷺ أنه قال : « يا على، خلقني الله تعالى وأنت من نور الله حين خلق آدم ، وأفرغ ذلك النور في صلبه ، فأفضى بها إلى عبد المطلب ، ثم افترقا من عبد المطلب. أنا في عبد الله ، وأنت في أبي طالب ... ».

لذلك تؤمن الشيعة بإسلام عبد الله، وأبي طالبٍ، وعبد المطلب، وجميع آبائهم وأجدادهم ممن كان ذلك النور المزعوم ينتقل في أصلابهم.

وأما الصوفية فهم حملة لواء هذا النوع من الكفر والضلال . وبدأت هذه العقيدة الخبيثة تظهر أولاً في مذاهبهم في الحب المزعوم لله تعالى ، ثم تطور إلى منزلة العشق ، فأكثروا من عبارات المحبة والعشق في كلامهم نظماً نثراً :

أحبك حبين : حب الهوى ... وحباً لأنك أهل لذاكا

فأما الذي هو حب الهوى ... فشغلي بذكرك عمن سواكا

وأما الذي أنت أهل له ... فكشفك لي الحجب حتى أراكا

ثم جاء طيفور فأوغل في تلك الأوحال ، وأثرى التصوف بكمٍّ هائلٍ عظيمٍ من الأقوال والأفعال المنحرفة المشينة، مثل قوله :

« سبحاني سبحاني ، ما أعظم شأني . حسبي من نفسي حسبي ، تراني في عيون الخلق أني مثلهم، ولو رأوني كيف صفتي في الغيب لماتوا دهشاً » . وقوله : « أدنى صفة العارف أن تجري فيه صفات الحق، ويجري فيه جنس الربوبية» .

ثم جاء الرافض الخبيث الذي اندس في صفوف الزهاد والعباد؛ لإفساد دينهم، ولخدمة منهجه وحزبه ، وهو الحلاج الذي ما زالت الشيعة والصوفية يتألبون على قتله ويصفونه بأنه شهيد الحب الإلهي ، كل ذلك على الرغم من إجماع أهل عصره على وجوب قتله كفراً وردةً عن دين الله تعالى . جاء وصرح بالقول بالاتحاد بين الخالق والمخلوق ، وأباح بزعمهم بالسر المصون ، فكشف الغموض الذي كان في أقوال من سبقه من أهل التصوف ، وشرح مرادهم ونشر كفرهم.

" أنا الحق " و " ما في الجبة غير الله " .

أنـا مـن أهـوى ومـن أهـوى أنـا	نحـن روحـان حللنـا بـدنا
فـإذا أبـصرتني أبـصرته	وإذا أبـصرته أبـصرتنا

« وما كان في أهل السماء موحدٌ مثل إبليس » .

« فصاحبَي وأستاذَي : إبليس وفرعون. وإبليس هدد بالنار وما رجع عن دعواه، وفرعون أغرق في اليم وما رجع عن دعواه، ولم يقرا بالواسطة...، ولئن قُتلت أو صُلبت أو قُطعت يداي ورجلاي، ما رجعت عن دعواي».

ثم جاء ابن عربي الملحد الزنديق وتلميذه الجيلي اللذان بلغا بالمحبة المزعومة آخر أطوارها، وبالاتحاد والحلول إلى آخر مراحله ، فزعما أن الفضائل والرذائل قد تداخلتا، وكذا الجنة والنار، وكذا عبادة الملك الديان وعبادة الأوثان. وهذا من باب اتحاد المحب والمحبوب، والمخلوق بالخالق، والذي أوصلهم إلى ذلك هو اعتقادهم أنه لا موجود على الحقيقة إلا الله تعالى، وبذلك توحدت الموجودات التي أصلها وجود الخالق لا غير، تعالى الله ربنا وتقدس عما يفتريه الظالمون علواً عظيماً. ويزعمون ورود ذلك عن طريق الكشف المقدم على العقل والنقل . ذكر ابن عربي عن شيخة التلمساني: « ثبت عندنا في الكشف ما يناقض صريح العقل » ويقولون عن مذهبهم أنه وراء العقل والنقل . وينصحون من أراد الدخول معهم ليسلك سبيلهم: « دع العقل والنقل » . ويقولون عن شيوخهم : «الشيخ يُسلم له ولا يُعترض عليه » .

إلى غير ذلك من أصولهم التي تفوح منها رائحة الكفر، وإباحة التشريع، والتحليل والتحريم لمن يزعمونهم شيوخاً وعارفين.

منزلة القرآن بين الكتب السابقة

١- ناسخٌ لها لفظاً وحكماً ، فلا تقرأ للتعبد ، ولا يحل العمل بها في العقائد والشرائع لما طرأ عليها من تحريف وتغيير، ولأنها نسخت بعد نزول القرآن الكريم.

٢- مهيمنٌ عليها ورقيبٌ وشهيدٌ بصحة ما فيها أو بطلانه ، فما أقره القرآن مما فيها وشهد بصحته فهو صحيحٌ مقبولٌ ، وما نفاه وأبطله أو جاء على خلافه فهو مدسوسٌ مكذوبٌ.

٣- عموم تشريعاته لكل زمانٍ ومكانٍ ، فرسالة القرآن عامّةٌ خالدةٌ، قال تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ [الأعراف: ١٥٨] .

٤- محفوظٌ بحفظ الله تعالى وعنايته الربانية من أن تصل إليه وتناله أيدي العابثين وتحريفات الماكرين، قال عز وجل: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩] .

٥- شموله لأصول الهداية البشرية وفروعها ؛ وذلك لاحتوائه على أعظم المناهج وأيسرها في تحقيق كمال الخلق في الدنيا والآخرة ، فقد جاء جامعاً لكل ما في الكتب السابقة من الخير والرشاد وزائداً عليها مما ليس فيها ، فاستحق بذلك أن يكون قاضياً عليها؛ لأنه يسد مسدها في الهداية والإرشاد وإقامة حجة الله تعالى على خلقه إلى قيام الساعة، قال تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ ﴾ [المائدة: ٤٨] .

العقد القديم:

سفر التكوين

الاصحاح الأول : « ... وقال الله نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا ، فيتسلطون على سمك البحر، وعلى طير السماء، وعلى البهائم، وعلى كل الأرض، وعلى جميع الدبابات التي تدب على الأرض...».

الاصحاح الثاني : « ... فأكملت السموات والأرض وكل جندها . وفرغ الله في اليوم السابع من عمله وقدَّسه؛ لأنه فيه استراح ...».

«... وأخذ الرب الإله آدم ووضعه في جنة عدن ليعملها ويحفظها. وأوصى الرب الإله آدم قائلاً: من جميع شجر الجنة تأكل أكلاً، وأما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها؛ لأنك يوم تأكل منها تموت موتاً».

الإصحاح الثالث : « ... فقالت الحية للمرأة لن تموتا ، بل الله عالم أنه يوم تأكلان منه تنفتح أعينكما، وتكونان كالله عارفين الخير والشر... فانفتحت أعينهما وعلما أنها عريانان.... وسمعا صوت الرب الإله ماشياً في الجنة ...

فاختبأ آدم وامرأته من وجه الرب ... فنادى الرب الإله آدم وقال له أين أنت؟ ... من أعلمك أنك عريان ، هل أكلت من الشجرة التي أوصيتك ألا تأكل منها ؟.... فقال الرب الإله للحية لأنك فعلت هذا ، ملعونة أنت من جميع البهائم ... على بطنك تَسْعين، وتراباً تأكلين كل أيام حياتك ... وقال للمرأة تكثيراً أكثر أتعاب حبلك ، بالوجع تلدين أولاداً ... وقال لآدم ملعونة الأرض بسببك، بالتعب تأكل منها كل أيام حياتك.

وقال الرب الإله هو ذا الإنسان قد صار كواحدٍ منّا عارفاً الخير والشر. والآن لعله يمد يده ويأخذ من شجرة الحياة أيضاً ويأكل ويحيى إلى الأبد . فأخرجه الرب الإله من جنة عدنٍ.

الإصحاح الرابع : « ... فقال الرب لقابيل: أين هابيل أخوك؟ فقال: لا أعلم ، أحارسٌ أنا لأخي؟ . فقال ماذا فعلت».

الإصحاح السادس : « ... وحدث لما ابتدأ الناس يكثرون على الأرض وولد لهم بنات ، أن أبناء الله رأوا بنات الناس أنهن حسنات ، فاتخذوا لأنفسهم نساءً، ... وبعد ذلك أيضاً إذ دخل بنو الله على بنات الناس وولدن لهم أولاداً. وهؤلاء هم الجبابرة الذين ... ».

« ورأى الرب أنَّ شر الإنسان قد كثر في الأرض ... فحزن الرب أنه عمل الإنسان في الأرض وتأسف في قلبه ، فقال امحوا عن وجه الأرض الإنسان الذي خلقت ... » .

« وولد نوح ثلاث بنين : ساماً ، وحاماً ، يافث ... » .

« فتدخل الفلك أنت وبنيك وامرأتك ونساء بنيك معك ... » .

« وقال الرب لنوح ادخل أنت وجميع بنيك إلى الفلك ... ومن جميع البهائم الطاهرة تأخذ معك» .

الإصحاح السابع: «... في ذلك اليوم دخل نوحٌ وسامٌ وحامٌ ويافث بنو نوحٍ وامرأة نوحٍ وثلاثة نساء بنيه معهم إلى الفلك» .

الإصحاح الثامن: « ... وبنى نوح مذبحاً للرب وأخذ من كل البهائم ... وأصعد محرقات على المذبح فاشتم الرب رائحة الرضا، وقال في قلبه: لا أعود ألعن الأرض ... ولا أعود أيضاً أميت كل حي كما فعلت» .

الإصحاح التاسع : « ... وابتدأ نوح يكون فلاحاً وغرس كرماً ، وشرب من الخمر فسكر وتعرى داخل خبائه ، فأبصر حام أبو كنعان عورة أبيه ، فأخبر أخويه ، فأخذ سام ويافث الرداء ، ومشيا إلى الوراء وسترا عورة أبيهما ، فلم يبصرا عورة أبيهما ... فلما استيقظ ... قال ملعون أنت ، ملعون كنعان عبيد العبيد يكون لأخوته... مبارك ... ولكن كنعان عبداً لهم ... وعاش نوح بعد الطوفان ثلاث مئة وخمسين سنة . فكانت كل أيام نوح تسع مئة وخمسين سنة ومات » .

الإصحاح الحادي عشر: « ... وكانت الأرض كلها لساناً واحداً ، ولغةً واحدةً ... هلم نبني لأنفسنا مدينةً وبرجاً رأسه بالسماء ونصنع لأنفسنا اسما لئلا نتبدد ... فنزل الرب ... وقال هوذا شعبٌ واحدٌ، ولسانٌ واحدٌ

لجميعهم، وهذا ابتداؤهم بالعمل، والآن لا يمتنع عليهم كل ما ينوون أن يعملوه . هلم ننزل ونبلبل هنالك لسانهم حتى لا يسمع بعضهم بعضاً ، فبددهم الرب من هناك على وجه كل الأرض . فكفوا عن بنيان المدينة... » .

الإصحاح الثالث عشر: « ... ولوط السائر مع ابرام كان لهم غنمٌ وبقرٌ وخيامٌ، لم تحتملها الأرض أن يسكنا معا ... فحدثت مخاصمةٌ، فقال ابرام للوط لا تكن مخاصمة بيني وبينك وبين رعاتي ورعاتك ... اعتزل عنى إن ذهبت شمالاً فأنا يميناً ، وإن يميناً فأنا شمالاً » .

الإصحاح السادس عشر: « ... فقال ابرام لساراي هوذا جاريتك في يدك ، افعلي بها ما يحسن في عينيك فأذلتها ساراي . فهربت من وجهها ... فوجدها ملاكٌ ... فقالت أنا هاربةٌ من وجه مولاتي ساراي . فقال لها ملاك الرب ارجعي إلى مولاتك واخضعي تحت يدها ... ها أنت حبلى فتلدين ابناً وتدعين اسمه إسماعيل، لأن الرب قد سمع لمذلتك وأنه يكون إنساناً وحشياً ... » .

الإصحاح السابع عشر : « ... بل سارة امرأتك تلد لك ابناً ... وأقيم عهدي معه عهداً أبدياً لنسله من بعهده . وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه ... ولكن عهدي أقيمه مع إسحق الذي تلده لك ساره » .

الإصحاح الثامن عشر: « ... فأسرع إبراهيم إلى الخيمة ... أسرعي بثلاث كيلات دقيقاً ... ثم ركض إلى البقرة وأخذ عجلاً ... ثم أخذ زبداً ولبناً والعجل الذي عمله ووضعه قدامهم، وإذا كان هو واقفاً لديهم تحت الشجرة أكلوا» .

الإصحاح التاسع عشر: « ... فخرج إليهم لوط وأغلق الباب وراءه وقال لا تفعلوا شرّاً يا إخوتي . هوذا لي ابنتان لم تعرفا رجلاً، أخرجهما إليكم فافعلوا بهما كما يحسن في عيونكم . وأما هذان الرجلان فلا تفعلوا بهما شيئاً؛ لأنهما قد دخلا تحت ظل سقفي .»

وصعد لوط ... فسكن في المغارة هو وابنتاه . وقالت البكر للصغيرة أبونا قد شاخ وليس في الأرض رجل ... هلم فاسقي أباناً خمراً ونضطجع معه فنحي من أبينا نسلا . فسقتا أباهما خمراً ... ودخلت البكر واضطجعت مع أبيها ... وحدث في الغد ... فسقتا أباهما خمراً وقامت الصغيرة واضطجعت معه ... فحبلت ابنتا لوط من أبيهما.

الإصحاح الثاني والعشرون: « ... وحدث بعد هذه الأمور أن الله امتحن إبراهيم ... خذ ابنك وحيدك الذي تحبه إسحق ... ثم مد إبراهيم وأخذ السكين ليذبح ابنه ... » .

« الإيمان بالرسل »

واجب المسلم نحو الرسل

نؤمن بأنَّ الله تعالى خلق الخلق وأنه سبحانه يختار من خلقه من يشاء ويفاضل بينهم ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ﴾ [القصص: ٦٨] . فكما اختار سبحانه وفضَّل مما خلق من الأرض والزمان ، فكذلك اصطفى واختار من بني آدم الأنبياء والمرسلين وفضَّلهم على غيرهم.

يقول شيخ الإسلام رحمه الله : « اتفق سلف الأمة وأئمتها على تفضيل الأنبياء والمرسلين على غيرهم من الصديقين والشهداء والأولياء والصالحين جميعاً » . (**خلافاً للرافضة الشيعة والصوفية**).

ونؤمن بأنَّ الله تبارك وتعالى فضَّل بعض النبيين على بعضٍ: ﴿ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴾ [الإسراء: ٥٥] .

وقد اتفق سلف الأمة وأئمتها على أنَّ الرسل أفضل من الأنبياء . ثم الرسل كذلك يتفاضلون فيما بينهم : ﴿ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ۚ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ ﴾ [البقرة: ٢٥٣] .

ونؤمن بأنَّ أفضل الرسل أولو العزم منهم ، وهم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ونبينا محمد ﷺ عليهم أجمعين.

ونؤمن بأنهم من أهل صفوة الله وخيرته من خلقه ، وأنهم جميعاً بلغوا أعلى درجات الكمال الإنساني في الخَلْق والنسب والخُلُق ، وأنهم أكمل الناس عقلاً، وأصدقهم منطقاً، وأبرَّهم قلوباً، وأعمقهم فهماً وبديهةً، وأشدهم تحملاً، وألينهم طباعاً.

ونؤمن بأن الله تعالى قد خصهم وأكرمهم بأنواع الفضائل مما لا يمكن لأحد من الخلق أن يلحقهم بها، وأنه سبحانه قد برَّأهم من العيوب والنقائص ، وعصمهم من الوقوع في كبائر الذنوب، وسفاسف الأمور، ومخلات المروءة.

ونؤمن بأنَّ دين الأنبياء واحدٌ وإن تنوعت شرائعهم . قال الله تعالى: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ ﴾ [الشورى: ١٣] .

وجاء في الصحيح من حديث رسول الله ﷺ : « **إنّا معشر الأنبياء ديننا واحدٌ** » . ودينهم جميعاً ، الأولين منهم والآخرين هو الإسلام لله تعالى وحده علماً وعملاً.

ونؤمن بأنهم جميعاً قد أدوا أمانة ربهم، وبلَّغوا رسالته إلى من بعثهم الله تعالى إليهم من الأمم والأقوام بالحكمة والموعظة الحسنة ، وأنهم بلغوا الغاية والكمال في نصح أممهم وأقوامهم ، ووعظوهم ، ولم يألوا في ذلك جهداً ولا مالاً

عليهم الصلاة والسلام ، بل بذلوا غاية وسعهم وجاهدوا في الله حق جهاده ، ولم يكتموا من الحق شيئاً.

ونؤمن بأن محبتهم واجبةٌ، وتعظيمهم شرعٌ ودينٌ، بلا جفاءٍ ولا غلوٍّ، بل نلتزم الآداب الشرعية في محبتهم ونعظم قدرهم، وننـزلهم المنزلة التي أنزلهم الله إياها من كمالٍ في العبودية له وحده ، وأنهم بشرٌ يعتريهم ما هو من جبلة البشر من أكلٍ وشربٍ وغيرها من الأعراض الأخرى التي لا نقص ولا عيب في شيءٍ منها ، وكذلك لا نخصهم بشيءٍ من خصائص الربوبية في التصرف والتدبير ، ولا من خصائص الألوهية بنوعٍ من أنواع العبادات والتأليه.

ونؤمن بأنهم جميعاً عليهم الصلاة والسلام ضربوا أروع الأمثلة في التطبيق العملي لأوامر الله وشرائعه ، وأنهم خير أمثلةٍ يُحتذى بها ويُقتدى بها في السير إلى الله تعالى ، وأنهم يمثلون الكمال في الاعتدال في جميع جوانب حياة الإنسان في هذه الدنيا.

ونؤمن بأنَّ من خالف هذه العقيدة المباركة في هذه الصفوة المباركة من خيرة خلق الله تعالى بأنه ضالٌّ مضلٌّ خارجٌ عن المنهج الحق والملة القويمة ، كالرافضة والصوفية.

فقد أبت الرافضة قدياً وما زالوا إلا مخالفة أهل الحق والدين والقويم . فقد زعموا أنَّ الإمامة مَرْتبةٌ فوق النبوة.

يقول ابن بابويه القمي في معرض ذكر معتقدات أهل الزيغ ما نصه:

« اعتقادنا فيمن جحد إمامة أمير المؤمنين علي بن أبي طالبٍ والأئمة من بعده أنه كمن جحد نبوة جميع الأنبياء، واعتقادنا فيمن أقرَّ بأمير المؤمنين وأنكر واحداً من بعده من الأئمة أنه بمنزلة من أقرَّ بجميع الأنبياء، وأنكر نبوة نبينا محمدٍ ».

ويقول مفيدهم النعمان: « اتفقت الإمامية على أنَّ من أنكر إمامة أحدٍ من الأئمة ، وجحد ما أوجبه الله تعالى له من فرض الطاعة ، فهو كافرٌ ضالٌّ مستحقٌّ للخلود في النار » .

ويقول علّامتهم الموسوم بابن المطهر الحلي :

« الإمامة لطفٌ عامٌّ ، والنبوة لطفٌ خاصٌّ ؛ لإمكان خلو الزمان من نبيٍّ حيٍّ بخلاف الإمام ، وإنكار اللطف العام شرٌّ من إنكار اللطف الخاص » .

ويقول إمامهم الذي وحَّد أشتاتهم وأظلافهم في هذا العصر في رسالته الموسومة بالحكومة الإسلامية المزعومة : « إنَّ من ضرورات مذهبنا أنَّ لأئمتنا مقاماً لا يبلغه ملكٌ مقربٌ ولا نبيٌّ مرسلٌ » .

ويقول أيضاً فيما ينقله عن أئمتهم بزعمه ما نصه: « إنَّ لنا مع الله حالاتٍ ، لا يسعمها ملكٌ مقربٌ ، ولا نبٌّي مرسلٌ ، ومثل هذه المنزلة موجودةٌ لفاطمة الزهراء » .

وحذى حذو هؤلاء في مخالفة ما أجمعت الأمة بطوائفها المختلفة عليه ، الصوفية الناتبة قبحهم الله فقد زعم حكمهم الترمذي أنَّ الولاية أفضل من النبوة ، وأنَّ خاتم الأولياء أفضل من خاتم الأنبياء ، وقد كذبوا وافتروا على الله تعالى وعلى رسله عليهم الصلاة والسلام . فقد زعم الترمذي بأنه خاتم الأولياء ، ثم جاء بعده ابن عربي صاحب القول بوحدة الوجود ، فزعم أنه هو خاتم الأولياء وأن الأنبياء إنما يأخذون من مشكاة خاتم الأولياء.

وكل هذا إمعاناً منهم في مخالفة هدي سيد المرسلين وسلف هذه الأمة، وموافقةً لأسلافهم وأسيادهم من أهل الرفض والتشيع .

واجب المسلم نحو محمدٍ ﷺ

نؤمن بأنَّه ﷺ من أولي العزم من الرسل، وأنه أفضلهم، وإمامهم، وأنه سيد ولد آدم، وصاحب المقام المحمود الذي يغبطه عليه الأولون والآخرين، وأنه صاحب اللواء والحوض والوسيلة والشفاعة العظمى لجميع الخلائق، وأنه أكثرهم تبعاً يوم القيامة.

ونؤمن بأنه لا يتم إسلام وإيمان أحدٍ من الخلق إلَّا أن يشهد له بالنبوة والرسالة مقترنة بالشهادة لله تعالى بالوحدانية، والشهادة له تعنى تصديقه فيما أخبر تصديقاً جازماً، وطاعته في كل ما أمر، واجتناب ما نهى عنه وزجر، وألَّا يعبد الله تعالى إلا بما شرع وجاء به، وأنه لا فرق بين ما جاء به من سنته العظيمة والقرآن الكريم من حيث الانقياد والخضوع والاستسلام والعمل.

ونؤمن بأنَّ الله تعالى بعثه بأفضل الكتب والشرائع والأديان ، وجعل أمته خير الأمم وأن شريعته جمعت محاسن الشرائع السابقة، وأنها ناسخةٌ ومهيمنةٌ عليها جميعاً وأنه لا يسع أحدٌ من الخلق الخروج عليها .

ونؤمن بأنه فُضِّل على غيره بأمورٍ كثيرةٍ وعظيمةٍ منها ما نص عليه : « **فُضلت على الأنبياء بستٍّ : أُعطيت جوامع الكلم ، ونُصرت بالرعب، وأُحلت لي الغنائم، وجُعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، وأُرسلت إلى الخلق كافّةً ، وخُتم بي النبيون** »(١).

ونؤمن بأنَّ الله تعالى قد ختم به الوحي والنبوات والرسالات تفضيلاً وتكريماً ، وتعني هذه العقيدة المباركة أنه لن يُبعث نبيٌّ بعده ولا رسولٌ ، ولا يُغير شرعه ، ولا يُبطل شيءٌ من أحكام دينه وشرعه ، وأنَّ عيسى حين ينزل فإنه يحكم بشرعه وبالقرآن لا بالتوراة والإنجيل تكريماً له صلى الله عليه وسلم ، وتحقيقاً لعقيدة الختم . وهذه العقيدة قد قررها الكتاب والسنة ، وأجمع عليها سلف الأمة من الصحابة ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين. **(خلافاً للرافضة الشيعة والصوفية)**.

ونؤمن بوجوب محبته وتعظيمه محبةً تفوق محبة المخلوقين جميعاً ، فنحبه صلى الله عليه وسلم أكثر مما نحب الأموال والأولاد والأنفس، محبةً تجعل المرء يتسلى بفقده إذا أصابه الأمر الجلل في هذه الدنيا ، فلا مصاب على المرء أعظم من فقده، بأبي هو وأمي صلى الله عليه وسلم.

ونعظمه تعظيماً يوافق شريعة الله تعالى، فلا غلو ولا مجاوزة للحد، مع امتلاء القلب بتوقيره وتعظيمه، وعدم تقديم قولٍ أو فعلٍ أو اقتراحٍ أو اعتراضٍ عليه صلى الله عليه وسلم .

---

(١) رواه مسلم .

وأما عقيدة ختم النبوة ، فقد قال الله تعالى فيها : ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ [الأحزاب: ٤٠] .

وقد تواترت السنة النبوية في أنه خاتم الأنبياء، وأنه لا نبي بعده كما نصَّ جماعةٌ من أهل العلم بالحديث والأثر.

لذلك أجمعت الصحابة ومن وافقهم من سلف الأمة ومن تبعهم بإحسان على هذه العقيدة . خلافاً للرافضة الشيعة الذين زعموا وما زالوا أنَّ الوحي كان ينزل على فاطمة بعد موت النبي ، وأنَّ عليّاً كان ينسخ ما ينزل عليها في مصحفٍ يسمونه بمصحف فاطمة.

وما زال أئمتهم ينصّون ويعتقدون نزول الوحي على أئمتهم ؛ لأن الإمامة لا تصلح إلا لمن كان له منزلة النبوة ، افتراءً على الله تعالى وكذباً .

وقد وافقهم الصوفية النابتة في هذه العقيدة الخبيثة مخالفين نصوص القرآن الصريحة ، والأحاديث المتواترة ، وإجماع سلف الأمة في عقيدتها .

يقول طيفور البسطامي : « أخذتم علمكم ميتاً عن ميتٍ ، وأخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت » .

ويقول ابن عربي : « وختم بمحمدٍ ﷺ جميع الرسل عليهم السلام ، وختم بشرعه جميع الشرائع ، فلا رسول بعده يشرع ، ولا شريعة بعد شريعته تنزل من عند الله » .

والأمر واضحٌ في مقالته التي لا تنطلي إلّا على بعض من يحسنون الظن به وبأمثاله من الصوفية الذين يتسترون بشعاراتٍ إسلاميةٍ شرعيةٍ ترويجاً لباطلهم ومذهبهم .

ويكشف ابن عربي ضلاله فيما أسماه بالنصوص فيقول : « فما ألقي إلا ما يلقي إلي ، ولا أنزل في هذا المسطور إلا ما ينزل به علي » .

ثم يدعي لنفسه الولاية العظمي ، وأنه خاتم الأولياء ، فلا ولي بعده فيقول :

« فإني أنا الختم، لا ولي بعدي، ولا حامل لعهدي ، بفقدي تذهب الدول ، وتلتحق الأخريات بالأول» .

وقد زعم أنه هو مصدر علم الرسل والأنبياء وأنهم إنما يقتبسون علمهم « إلا من مشكاة خاتم الأولياء » .

هكذا يرى الرافضة الشيعة والصوفية أنه بهذه النصوص الكاذبة المفتراة وبهذه الترهات العقلية، يسعهم الخروج على هذه العقيدة المباركة التي هي من أهم خصائص نبينا ﷺ ، ومن أعظم آيات تكريم الله تعالى له .

خصائص الرسالة المحمدية

يرى الناظر في الرسالات السابقة أنها لم تتميز بما يؤهلها للاستمرار والبقاء ، الأمر الذي أدّى إلى تعاقب الرسل والرسالات يكمل بعضها بعضاً ، حتى جاءت هذه الرسالة التي تميزت بكثير من الخصائص والصفات التي تؤهلها للبقاء، وتكفل لها الاستمرار.

ومن أهم هذه الخصائص والمميزات :

١ - خصائص الأسلوب والمخاطبة:

فالرسالات السابقة تخاطب أقواماً معنيين ﴿ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ ﴾ [الأعراف: ٥٩] . هذه دعوة الرسل جميعاً ، وهذا أسلوب مخاطبتهم؛ لأنهم أُرسلوا إلى أقوامٍ معينين . والتوراة والإنجيل تنصان على مخاطبة بني إسرائيل خاصةً. أمّا رسالة نبينا ﷺ فأسلوبها العموم والشمول، وخطابها للناس كافّةً: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ ﴾ [الأعراف: ١٥٨] ، « كان النبي يُبعث إلى قومه خاصةً ، وبُعثت إلى الناس كافّةً » . فهذه الرسالة المباركة تخاطب الإنسان في أي زمانٍ ومكانٍ.

٢ - خصائص الإعجاز:

اقترنت الرسالات السابقة بمعجزاتٍ حسيةٍ مشاهدةٍ تخاطب الحس البشري وتتحداه وتقهره ، وتنتهي بإنتهاء صاحب تلك الرسالة . وأما معجزة هذه الرسالة الخالدة فإنها تتحدى البشرية بأسرها، وتخاطب العقول والجوارح والحس فيهم . ثم تمتاز بأنها هي الدعوة وهي المعجزة في آنٍ واحدٍ ، والدعوة ستبقى ما شاء الله ، وكذلك الإعجاز باقٍ ببقائها؛ لارتباطها بها ، لا بصاحب الرسالة ﷺ .

٣- خصائص الحفظ والصون:

لما كانت حكمة الله تعالى أن تُنسخ الشرائع السابقة بما هو أكمل وأتم وأيسر ، فإنه سبحانه لم يتعهد بحفظ الرسالات السابقة ممَّا سبَّب تعرضها للضياع والتحريف كما هو مشاهدٌ ومعلومٌ .

وأما هذه الرسالة ، فقد تكفَّل الله تعالى بحفظها ﴿ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩] وهذا أمرٌ لابدَّ منه حتى لا يتطرق الشك والريب إلى أصالتها؛ لتبقى مصدراً للهداية والرشاد لجميع الخلق حتى قيام الساعة .

٤ - خصائص التشريع:

كانت الشرائع تلائم الأوقات والعصور التي جاءت فيها ، وتلائم أولئك الأقوام وطبائعهم وأخلاقهم وسلوكهم . وهذه أمورٌ يتفاوت الناس فيها من مكانٍ لآخر وزمان لآخر .

وأما هذه الرسالة فإنها تخاطب الناس جميعاً في كل زمانٍ ومكانٍ ؛ لذلك جاءت ملائمة للفطرة البشرية التي خلق الله الناس عليها لا تبديل لخلقه ، فهي لا شك تلائم الخلق في جميع أحوالهم وأوقاتهم ، وتكفل لهذه الشريعة ما ييسر لها البقاء والاستمراء والصلاحية العامة.

فلا تأمرهم إلا بالمعروف الذي يتعارف عليه أهل الفطر السوية.

ولا تنهاهم إلا عن المنكر الذي ينكره أهل الفطرة السوية وينفرون منه .

ولا تحلُّ لهم إلا الطيبات، ولا تحرم عليهم إلا الخبائث .

ولا تشرع لهم إلا ما فيه رفع الأغلال والأصار والشدة، وجلب التيسير .

وهذه الخمسة كلها تتلاءم مع الفطرة الإنسانية في جميع أحوالها، و تلائم الناس على اختلاف أعصارهم وأمصارهم.

قال الله عز وجل: ﴿ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾ [الأعراف: ١٥٧] .

وممّا تتميز به هذه الشريعة مما يكفل لها البقاء والاستمرار :

أ- المرونة:

في جميع الأحكام والشرائع : الشورى ، ودرء المفاسد أولى من جلب المصالح، والضرورات تبيح المحظورات ، والمشقة تجلب التيسير.

ب- الشمول:

شريعةٌ تنظم جميع شئون الفرد والمجتمع في العقائد، والمعاملات، والعبادات، وإشباع جميع الغرائز والحاجات بلا إفراطٍ ولا تفريطٍ .

ج- اليسر:

مراعاة للفروق الفردية بين مسلمٍ وآخرَ ، ومراعاة لمختلف الأحوال التي يمر بها الفرد من قوةٍ وصغفٍ ، وصحةٍ ومرضٍ ، وحضرٍ وسفرٍ، وغير ذلك مما يستلزم التيسير . وكذا الحال في النسيان والإكراه .

قال تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ [الحج: ٧٨] ، وقال عز وجل: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾ [البقرة: ١٨٥] .

« الإيمان باليوم الآخر »

الإيمان باليوم الآخر

ركنٌ من أركان الإيمان، وأصلٌ من أصول الاعتقاد، وهو الإيمان بكل ما أخبر به الرسول ﷺ مما يكون بعد الموت ، ومعناه : الإيمان والاعتقاد بأشراطها وأماراتها السابقة لها وهي على أقسامٍ :

(أ) **الأشراط التي مضت وانقضت مثل:** بعثة النبي ، موته ، فتح بيت المقدس ، قتل عثمان ، الجمل و صفين والنهروان ، ملك بنى أمية ، خروج الدجالين الكذابين .

(ب) **الأشراط التي ظهرت ولم تنقض مثل:** التباهي بالمساجد، كثرة الزلازل، أسعد الناسع لكع بن لكع ، كثرة الجهل وارتفاع العلم، وشرب الخمر وظهور المعازف، تعطيل الحدود، قلة الرجال وكثرة النساء، وضياع الأمانة.

(ج) **الأشراط والأمارات الكبرى** ، التي لم تظهر بعد ، والتي إنْ ظهرت فإنه يتبع بعضها بعضاً، وتقوم القيامة والساعة وهي: المهدي ، الدجال ، نزول عيسى ، يأجوج ومأجوج ، هدم الكعبة ، نزول الدخان من السماء ، ارتفاع القرآن ، الخسوف (بالمشرق والمغرب وجزيرة العرب)، خروج الدابة التي لا يدركها طالبٌ ولا يفوتها هاربٌ ، طولها ستون ذراعاً ، طلوع الشمس من مغربها ، وخروج النار التي تحشر الناس إلى محشرهم « الآيات خرزاتٌ منظوماتٌ في سلكٍ، فإنْ يُقطع السلك، يتبع بعضها بعضاً »[1].

والقيامة : صغرى وكبرى:

أما الصغرى فتبدأ بالموت الخاص لكل إنسانٍ ، فمن مات فقد قامت قيامته من خروج روحه ومفارقة أهله وانقطاع عمله وسعيه .

فنؤمن بالموت وأنه أجلٌ محدودٌ لا يتقدمه أحدٌ ولا يتأخر عنه أحدٍ . وأنَّ له سكراتٍ، وأنَّ الملائكة تحضره.

ونؤمن بالقبر وأنه أول منزلٍ من منازل الآخرة ، وأنَّ له فتنةً وضمةً ، وأنه إمَّا روضةً من رياض الجنة، أو حفرةً من حفر النيران .

وأما القيامة الكبرى فتبدأ بالنفخ في الصور وإفناء الحياة الدنيا وما فيها من أحياءٍ؛ استعداداً للبعث والنشور وما يليه من أمور .

- فنؤمن بالنفخ في الصور ، وهو قرنٌ يُنفخ فيه بواسطة إسرافيل ، وينفخ فيه نفختان الأولى لإفناء الحياة الدنيا وهي الراجفة ، والثانية لبعث الناس والخلائق وهي الرادفة . وقيل ثلاثةً : نفخة الفزع ، ونفخة الصعق ، ونفخة البعث والنشور .
- ونؤمن بالبعث والنشور وهو المعاد الجسماني للخلائق وإعادة الأرواح إلى الأجساد .
- ونؤمن بالحشر بعد البعث ، فيحشر الناس في صعيدٍ واحدٍ ثم يقومون فيه ما شاء الله تعالى لهم أن يقوموا فيه : ﴿ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴾ [المعارج: ٤٣] .

---

(١) أخرجه الحاكم والإمام أحمد، انظر الصحيحة: (١٧٦٢). .

وأن الناس يحشرون حفاةً عراةً غرلاً في موقفٍ شديدٍ تدنو الشمس من رؤوسهم ، ونؤمن بالصحف وأنها تتطاير فتأتي الناس ، فمنهم من يأخذها بيمينه وهم السعداء ، ومنهم من يأخذها بشماله أو من وراء ظهره والعياذ بالله .

- ونؤمن بالحساب ، فيعرف الله عباده بأعمالهم ويحصيها عليهم؛ إقامةً للحجة : ﴿وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧]

ويحضر الحساب الشهداء من الأنبياء والصالحين من هذه الأمة . وتشهد الجوارح على أصحابها :

﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [النور: ٢٤] .

والناس على أقسامٍ : قسمٌ لا يحاسب أبداً ، وقسمٌ يُحاسب حساباً يسيراً ، وقسمٌ يحاسب حساباً عسيراً .

وقد تكون رابعةٌ تقابل من يدخل الجنة بلا حسابٍ ولا عذابٍ.

- ونؤمن بالميزان الذي ينصب بعد محاسبة الخلائق لوزن أعمالهم ، وأنه ميزانٌ حقيقيٌّ دقيقٌ لا يزيد ولا ينقص ، وأنه ذو كفتين توزن فيه أعمال العباد ، ويوزن فيه العباد أنفسهم ، وتوزن فيه صحائف الأعمال والكتب والسجلات (خلافاً للمعتزلة).
- ونؤمن بالحوض وأنه واسعٌ عظيمٌ الأطراف ، وماؤه أبيض من البن ، وأحلى من العسل ، وكيزانه بعدد نجوم السماء ، وأنه يرده أهل الإيمان، ويُذاد عنه أقوامٌ يوصفون بالتبديل في الشرائع والأصول .
- ونؤمن بالصراط وهو جسرٌ ممدودٌ على متن جهنم ، أَحَدُّ من السيف ، وأَدَقُّ من الشعرَه ، دحض مزلَّةٌ ، الناس منهم من يمر عليه كانقضاض الكوكب ، ومنهم من يمر عليه كالريح ، وكالبرق ، ومنهم من يجرى، ومن يهرول، ومن يرمل على قدر أعمالهم وإيمانهم.
- ونؤمن بالشفاعة العظمى لأهل الموقف كافةً في محشرهم ، ثم بالشفاعات الآخرى كرامةً لنبينا ﷺ ، ورحمةً لأمته ممن يستحقها .
- ونؤمن بورود النار ، فأما ورود أهل التوحيد فهو مرورهم على الصراط ، وقيل هو دخولٌ ليس كدخول أهل الكفر . وأما أهل الكفر فإنهم يردونها ورود دخولٍ والعياذ بالله .
- ونؤمن بالجنة داراً وقراراً لأهل الإيمان يدخلونها برحمةٍ من الله تعالى وفضلٍ جزاء أعمالهم وطاعتهم ، ونؤمن بأنَّ فيها ما لا عينٌ رأت ولا أذنٌ سمعت ولا خطر على قلب بشرٍ .
- ونؤمن بالنار داراً ومستقراً لأهل الكفر يدخلونها استحقاقاً لسوء أعمالهم الظاهرة والباطنة، وأنَّ الله ليس بظلام للعبيد.
- ونؤمن بأنهما – الجنة والنار – مخلوقتان لا تفنيان ولا تبيدان ، وأنهما خالدتان باقيتان : الجنة دارٌ للمتقين من أوليائه ، والنار دارٌ للفجار من أعدائه كما جاء في الكتاب والسنة وإجماع الأمة.

موقف الصوفية من الجنة والنار:

إنَّ للصوفية عقائد منحرفةً في كثيرٍ من أمور الاعتقاد ، فضلاً عن الابتداع في العبادات والأعمال والأخلاق . ولهم في الجنة والنار مذاهب محرفة منها ما كان عليه الأوائل من احتقار شأن الجنة والنار وعدم الاكتراث بهما حتى صوَّروا وزيَّنوا لرعاعهم أنهم لا يطمعون في جنةٍ ولا يخافون من نارٍ كما هو شأن عمال السوء ممن يعملون ويعبدون مولاهم طمعاً في جنته وخوفاً من ناره . هذه واحدةٌ من جملة عقائد لهم فاسدةٍ في الجنة والنار ، ولكن الذي أريده هنا هو مخالفتهم الكتاب والسنة وإجماع الأمة في خلود وبقاء الجنة والنار وعدم فنائهما.

يقول عبد الكريم الجيلي الهالك سنة (٨٠٥)هـ في كتابه « الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل» والذي يزعم أنه ألَّفه وكتبه وآثر عدم نشره وإظهاره ، ولكن يزعم أنَّ الله تعالى أمره بعد ذلك بإبرازه حيث يقول قبحه الله : «فأمرني الحق الآن بإبرازه بين تصريحه وإلغازه ، ووعدني بعموم الانتفاع ، فقلت طوعاً للأمر المطاع...» ١/ ٦ .

ويقول : « ... ظهر لك سر الحديث النبوي وهو أنَّ الجبار يضع قدمه في النار فتقول : قطٍ قطٍ وأنها تفنى حينئذٍ ، فينبت موضعها شجر الجرجير ...» ٢/ ٦ .

ويقول قبحه الله : « اعلم وفقك الله لمعرفته وجعلك من أهل قربته أنَّ الله خلق الصورة المحمدية من نورٍ اسمه البديع ، ونظر إليه باسمه المنان القاهر .... فخلق الله الجنة من نصفها المقابل لليمين ، وجعلها دار السعادة للمنعمين ، ثم خلق النار من نصفها المقابل للشمال، وجعلها دار الأشقياء أهل الضلال ، وكان القسم الذي خلق منه الجنة هو المنظور إليه باسمه المنان ... والقسم الذي خلق منه النار ، هو المنظور إليه باسمه القاهر ... وقد أخبر النبي ﷺ عن النار : « **أنَّ الجبار يضع فيها قدمه** ... » وسر هذا الحديث هو أنَّ الله كلما خلق لأهل النار عذاباً خلق لهم قوةً على حمل ذلك العذاب وإلا لهلكوا وانعدموا واستراحوا من العذاب، فلا بدَّ أن يخلق لهم قوةً على حمل ما أنزله بهم من العذاب ليذوقوا عقابه ... ثم إنَّ أهل النار إذا زال عنهم عذابٌ ، وتجدد لهم غيره، لا تزول عنهم القوى الأولى؛ لأنها **موهوبَةٌ بين المنة** ، ولا يسترجع الحق في هبته ... ثم لا يزالون يزدادون قوةً بقوةٍ كل عذابٍ حتى ينتهوا إلى أن يظهر فيهم أثر تلك القوى قوة إلهية ، فإذا ظهرت فيهم تلك القوة الإلهية ، جبرتهم إلى أن يضع الجبار قدمه في النار؛ لأن صفات الحق لا تظهر في أحدٍ فيشقى بعدها » ٢/ ٦٤ – ٧٤ .

ويقول : « اعلم أنه لما كانت النار غير أصليةٍ في الوجود زالت آخر الأمر ... ثم اعلم أن النار لما كان أمرها عارضاً في الوجود جاز زوالها ، وإلا لكان مستحيلاً ، وليس زوالها إلا إذهاب الإحراق عنها ، وبذهاب الإحراق عنها تذهب ملائكتها ، وبذهاب ملائكتها ترد ملائكة النعيم ، فينبت بورود ملائكة النعيم في محلها شجر الجرجير وهو خضرة ، وأحسن لونٍ في الجنة لون الخضرة ، فانعكس ما كان جحيماً إلى أن صار نعيماً ... فصارت رياحين وجنات ، ومحلها باقٍ على ما هو عليه ولكن ذهبت النار ، وإن شئت قلت : لم تذهب النار ولكن انتقل ألم العذاب إلى الراحة ... وانتقل أمر عذاب أهلها إلى الراحة..». ٢/ ٤٨

ذكر بعض الأدلة على البعث والنشور
والرد على المنكرين والجاحدين

الأدلة العقلية:

(١) إنَّ إعادة ما كان موجوداً ثم انعدم أيسر وأهون على الموجد من الإيجاد الأول. فالإيجاد على مثال سابقٍ أيسر وأسهل من الإيجاد على غير مثالٍ سابقٍ: ﴿يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِۚ﴾ [الروم: ٢٧].

(٢) الاستدلال بالبعث بعد الموت على الاستيقَاظ بعد النوم كما هو الشأن في الإنسان والحيوان. إذ النوم موتٌ أصغر ، وكذلك الاستيقاظ بعثٌ ونشورٌ أصغر: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّىٰۖ ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ﴾ [الأنعام: ٦٠].

(٣) الاستدلال بإحياء الأرض بعد موتها على البعث بعد الموت ، فالأرض بعد الجدب والقحط تحيا بأسباب الحياة ، وكذلك الأموات والأجساد تحيا بأسباب حياتها وبعثها: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فصلت: ٣٩] .

(٤) الاستدلال على إعادة حياة الأبدان وبعثها بقدرة الخالق على خلق العوالم العظيمة التي تعتبر أشد وأعظم من خلق الناس ، فالقادر على خلق العظيم والشديد أقدر على خلق الأيسر منه: ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ﴾ [غافر: ٥٧] .

(٥) الاستدلال بتفاوت سلوكيات الناس وأخلاقهم والتزامهم بالآداب والفضائل ثم استوائهم جميعاً بالموت والفناء ، وهذا لا يُعقل، فيكف يتساوى المحسن والمسيء في العاقبة والنهاية ، بل لا بد من حياةٍ أخرى لاستيفاء الأجور والمجازاة على الخير والشر : ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۖ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۖ﴾ [آل عمران: ١٨٥] .

إنَّ هذه الأدلة جاء ذكرها والاستدلال بها في كتاب الله تعالى حملاً للناس على هذه العقيدة؛ لأنها أصلٌ عظيمٌ من أصول التزام الناس بالآداب الشرعية والأخلاق الفاضلة في الدنيا ، فهي أدلةٌ عقليةٌ دعت إليها النصوص الشرعية ، وهي ذكرى لأولي الألباب.

وأما الأدلة النقلية فإنها كثيرةٌ جدّاً، ولها عدة أساليب:

فمنها الخبر المباشر بوقوعها قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا ﴾ [طه: ١٥] ، ﴿ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٌ ﴾ [المرسلات: ٧] ، وقال سبحانه: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ ﴾[سبأ: ٣] .

ويكون بالاستدلال على المنكرين بالنشأة الأولى، قال عز وجل: ﴿ وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾ أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا ﴾ [مريم: ٦٦ - ٦٧] .

ويكون بالاستدلال على إحياء بعض الأموات قال تعالى : ﴿ فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَٰلِكَ يُحْيِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة: ٧٣] ، وقال عزَّ من قائل: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحْيَٰهُمْ ﴾ [البقرة: ٢٤٣] ، وقال سبحانه: ﴿ أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ﴾ [البقرة: ٢٥٩] .

ويكون بالاحتجاج على المنكرين بحكمة الله تعالى في الابتلاء والتكليف :

وهذا مقتضى حكمته وعدله سبحانه وتعالى ، إذ لابد من الجزاء الذي لا يمكن تحقيقه في دار الدنيا حيث هي دار امتحانٍ وابتلاءٍ ، ولا يصح إلا أن يكون جزاء بعد هذا الامتحان والابتلاء، قال تعالى: ﴿ أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾ [القلم: ٣٥ - ٣٦] ، وقال عز وجل: ﴿ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴾ [ص: ٢٨]. وقال سبحانه: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴾ [المؤمنون: ١١٥ - ١١٦] .

وختاماً، فإنَّ الاعتقاد والإيمان باليوم الآخر رأس كل أمرٍ من أمور العبودية ، وأساس كل عملٍ ، وعليه مدار الاستقامة، وصلاح الأخلاق، وزكاة النفوس وطهارتها من أنواع الرذائل ، وبدون هذا الإيمان يكون الإنسان شيطاناً يبث الشر والفساد، ولا يرقب في غيره إلاًّ ولا ذمةً ، ويسعى لتحقيق غاياته ومصالحها غير مكترثٍ بأحدٍ من الخلق.

أثر الإيمان باليوم الآخر على المسلم.

ما شرع الله تعالى شيئاً ولا أوجبه في العقائد والشرائع ، وفي العلوم والأعمال إلا وله أطيب الأثر على حياة المؤمن المصدق ، فالله تعالى أنزل كتبه و أرسل رسله رحمةً للناس، وهدايةً لهم، و إرشاداً لهم إلى سبل الفوز والصلاح في الدنيا والآخرة . فالخير كل الخير فيما شرع وألزم ، والشر كل الشر فيما نهي عنه وزجر.

قال تعالى : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢١٦] .

وكذلك الأنبياء والمرسلون صلوات الله وسلامه عليهم كان حقاً عليهم أن يدلوا أممهم ويأمروهم بكل خيرٍ، ويحذرهم من كل شرٍّ وفتنةٍ.

وكذلك الإيمان بهذا الركن العظيم له آثارٌ طيبةٌ، وثمراتٌ عظيمةٌ تعود بالنفع على المؤمن المصدق ، ومن أهمها :

١ – الحرص على الإكثار من فعل الطاعات؛ رجاء حصول الأجر و الثواب ، واستحقاق دخول الجنة دار الأولياء.

٢ – الخوف من الوقوع في المعاصي فضلاً عن فعلها والرضا بها مخافة عقاب الله واستحقاق دخول النار دار الأعداء.

٣– الصبر في ذات الله تعالى والرضا بقضائه فيما شرع وأنزل من البلاء ، فيصبر على الطاعات وعن المعاصي وعلى أنواع البلاء؛ طمعاً في استحقاق ما أعدَّه المولى للصابرين الطائعين.

٤ – التسلي بالآخرة والمقامات العالية في الجنة عما يفوته من حظوظ الدنيا الفانية ، فلا يفرح كثيراً بما أتاه الله، ولا يحزن ولا يجزع على ما فاته؛ احتساباً للأجر والثواب، وإيثاراً للباقية على الفانية.

٥ – الاستعانة بالإيمان باليوم الأخر على التزود بزاد الآخرة، والاطمئنان إلى رحمة الله تعالى لأوليائه ، وإلى حكمته وعدله لأهل سخطه وغضبه.

هذا والله تعالى أعلم وهو الهادي إلى سواء السبيل ، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا ونبينا محمدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين.